البحث الثانى

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة طيبة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الاستشراق



القرآن والتوراه والأنجيل بمقاييس العلم الحديث وفقاً لمَنْهَجِيَّةِ مُوريس بُوكاي
دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

إعداد
صالح بن غانم بن صالح الفقير

ملخص الدراسة:
إن دراسة منهجية موريس بوكاي في التوفيق بين الدين والعلم من الدراسات التي لاقت رواجًا في الفترات الأخيرة كونهاتعبِّر عن جدلية العلاقة بين كلٍّ من الدِّين والعلم لديَّ الفكر الغربي منذ عصر النهضة حتّى يومنا هذا، ومما يُؤسف له هو انتقال هذه الجدلية من البيئة الغربية إلى الدول الإسلامية على الرغم من تأكيد علماء الإسلام على عدم وجود تضاد أو اختلاف بين الدِّين والعلم في الفكر الإسلامي ومن هنا برزت أهمية هذه الدراسة في كونها تناقش هذه العلاقة لدى موريس بوكاي العالم الفرنسي الذي درس كلًّا من اليهودية والنصرانية والإسلام بكلِّ موضوعيَّة، استخدم الباحث المنهج التحليلي الوصفي وقد خلصت الدراسة إلى نتائج وتوصيات هامة منها:

هناك من علماء الغرب من يتسمون بالموضوعية والحيادية، ومن الممكن إذا ما تعرفوا على ما في القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة من إعجاز، أن يدخل قلوبهم هذا الدين.

إنَّ التوراةَ والإنجيل تشوبهما الكثير من المغالطات المنهجية والعلمية والتحريف، والتي دعت كثير من العالم الغربي إلى هجران هذين الكتابين، وأسهمت في صنع فجوة بين الدين والعلم.

وقد أوصت الدراسة بما يلي:

التواصل المستمر مع العلماء من غير المسلمين، ومخاطبتهم باللغة التي يفهمونها وهي لغة العلم، وعقد المؤتمرات والندوات الدولية التي تتناول قضايا الإعجاز العلمي في القرآن ودعوة العلماء الغربيين المتخصِّصين في المجالات المختلفة وتعريفهم بما جاء في الإسلام من حقائق.

الكلمات المفتاحية : القرآن –التوراه –الأنجيل – مقاييس العلم الحديث – مَنْهَجِيَّةُ مُوريس بُوكاي – **دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ.**

Abstract:

The study of Maurice Bucaille’s methodology in reconciling science and religion is one of the studies that has gained popularity in recent times, as it expresses the dialectic of the relationship between both religion and science in Western thought since the Renaissance until the present day. Despite the assertion of Islamic scholars that there is no contradiction or difference between religion and science in Islamic thought, hence the importance of this study in that it discusses this relationship by De Maurice Bucaille, the French scientist

Who studied Judaism, Christianity and Islam in all objectivity, the researcher used the descriptive analytical method, and the study concluded with important results and recommendations, including

Many Western scholars are neutral, and it is possible that if they learn about the miracles in the Holy Qur’an or the correct Sunnah of the Prophet, this religion will enter their hearts. That the Torah and the Bible are marred by many methodological and scientific fallacies and distortion, which called the Western world to abandon these two books, to the Noble Qur’an and Islam. The study recommended the following:

1. Continuous communication with non-Muslim scholars, and addressing them in the language they understand, which is the language of science.
2. Holding international conferences and symposiums dealing with issues of scientific miracles in the Qur’an and inviting Western scholars specializing in various fields and introducing them to the facts stated in Islam.

Keywords: the Qur'an - the Torah - the Bible - standards of modern science - Maurice Bucay's methodology - An analytical study.

مقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، أما بعد:

يتناول الباحث في هذه الدراسة نتاج المستشرق الفرنسي موريس بوكاي وهو أحد أهمِّ المستشرقين الموضوعيون الذين أسهموا في دراسة الإسلام وتقديم حقائقه.

قدمت هذه الشخصية مادة علمية ثرية أسهمت في تقديم صورة متكاملة عن الاسلام ودوره في إثراء الفكر الإنساني، خاصة في المجتمعات الغربية، والتي لم تجد اهتمامًا كبيرًا من قبل الباحثين بدراسة الإسلام والكشف عن قيمته الدينية والإنسانية والعالمية، مما دفع الباحث لدراسة نتاج هذه الشخصية تحت عنوان (منهجية موريس بوكاي في التوفيق بين الدين والعلم).

ركز الباحث في هذه الدراسة على طرح النتائج العلميَّة التي توصَّل إليها بوكاي ثم تحليلها، وكل ذلك في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

مشكلة الدراسة:

الكشف عن الجانب الإيجابي عند بعض المستشرقين الذين أسهموا في التعريف بالإسلام وتقديم حقائقه.

هل منهجية موريس بوكاي تُأكيد على إثراء الدِّين الإسلامي للحضارة الإنسانيَّة؟

هل بوكاي أسهام في تقديم صورة علميّة وعمليّة متكاملة عن الإسلام مما يشكِّل مدخلاً للدعوة إلى دين الإسلام وجذب الكثيرين إليه خاصَّة في المجتمعات الغربية؟

محاولة الباحث إبراز درجة اتِّفاق نصِّ القرآن الكريم مع معطيات العلم الحديث وفق منهجية موريس بوكاي.

أسباب اختيار البحث:

قلَّةُ الدراسات العلميَّة التي تناولت الفكر الديني العلمي وندرتُها عند موريس بوكاي.

انتشار بعض الأفكار الإلحاديّة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي التي فتحت جسور التواصل بين دول الإلحاد التي تدعم انتشاره وبين شباب الأمة مما يشكِّل خطر انتشار الإلحاد في المجتمع المسلم.

الكشف عن حقيقةِ الدين الإسلامي وأصالتِهِ عند موريس بوكاي.

التأكيد على نَسْخِ الإسلام لكلِّ الشرائع السماويَّة السابقة في دراسات بوكاي.

أهمية البحث:

الكشف عن منهجيَّة موريس بوكاي للتَّأكيد على صلة العلم بالدِّين وحقائقه.
دراسة منهجية بوكاي من الممكن أنْ تساعد في معرفة أو اكتشاف المزيد من حقائق الأديان وخاصَّة الدين الإسلامي.
التَّأكيد على الحقائق العلميّة المكتشفة في سياق القرآن الكريم.
التقديم والدراسة لشخصية استشراقية تميَّزت بالموضوعيَّة والواقعيَّة في دراستها للدِّين الإسلامي.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث أَيَّ دراسة بحثيّة سابقة متخصِّصة حول موريس بوكاي، وما وجده الباحث عبارة عن شذرات حول بعض القضايا التي تناولها في كتبه، لذا آمل أن تكون دراستي إضافة في هذا الجانب.

غير أنَّ مسألة التوفيق بين الدِّين والعلم شغلت الغرب والشَّرق في العقود الأخيرة فصدرت فيها العديد من الدراسات المتعلقة بمسألة التوفيق ذاتها، وكان من أبرزها كتاب كريسي موريسون (الإنسان لا يقف وحده) وقد ترجمه الأستاذ محمود صالح الفلكي للعربية بعنوان: (العِلْمُ يَدْعُو لِلإِيمَانِ)، وكَذلك كتاب (اللهُ يَتَجَلَّى فِي عَصْرِ العِلْمِ) لجون كلوفر، وكذلك كتاب (تَوْفيقُ الرَّحمنِ بَينَ ما قَالَهُ عُلَماءُ الهَيْئَةِ وبَيْنَ الأَحادِيثِ الصَّحيحةِ والقُرآنِ) للشيخ محمد بخيت المطيعي، وكتاب (الإسلامُ في عَصرِ العِلْمِ) للغمراوي، بالإضافة للعديد من المؤلفات التي تختلف منهجياتها وأساليبها العلمية، إلا أن الأبحاث العلمية التي سجلت في الأقسام العلمية أو نشرت كأبحاث محكمة في الأوعية العلمية قليلة على حد إطلاع الباحث، ومن أهمها:

- **المستشرق المجري (جولدتسيهر) والإعجاز في القرآن الكريم، لعبد الرزاق أحمد رجب.**
- **الإحداثيات المبتدعة في قراءة جاك بيرك الاستشراقية للقرآن الكريم د. بوشعيب راغين والذي نشر في مؤتمر ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقيَّة طبع مجمع الملك فهد عام 2006م.**
- **موقف المستشرقين النقّاد من القرآن الكريم وإعجازه البلاغي: ترجمة ودراسة د. الجوهرة بنت بخيت آل جِهجاه، واقتصرت هذه الدراسة على الجانب البلاغي من قضية الإعجاز بينما الدراسة التي أتقدم لها متعلقة بالإعجاز العلمي.**
- **المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية أ. د. علي بن إبراهيم النملة.**

منهج الدراسة:

سيستخدم الباحثُ المنهجَ التحليليَّ الوصفيَّ، للكشف عن منهجيَّة موريس بوكاي في التّوفيق بين الدين والعلم على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية لبيان صحيح العقيدة، وسيلتزم الباحث بالآتي: تخريج الآيات القرآنية، تخريج الأحاديث النبوية وبيان مدى صحتها، وترجمة الأعلام الذين يتناولهم الباحث، وترجمة بعض المصطلحات التي تحتاج إلى توضيح في الدراسة.

في موضوع التاريخية الذي ذُكر في عنوان المبحث الأول والثاني من الفصل الأول، يقصد به الوقوف على بعض الفترات والعصور دون تتبع سلسلة الأحداث التاريخية.

تمهيد:

كان لعلماء المسلمين السبق والريادة في قضية التوفيق بين الدين والعلم، وسوف نأتي لذلك في هذا البحث، غير أن في هذا العصر الذي انتشرت فيه التقنيات العلميَّة، وعلا صوت العلم على كلِّ الأصوات، حتَّى حدا بالعديد من العلماء والمفكرين حول العالم بتفسير جميع الظواهر الكونية من المنطلق العلمي، وأصبحت النظرة العلميَّة هي المسيطرة على التفكير، فما يمكن أن نُسنده علميًّا نؤمن به، وما لا يمكن أنْ نتعرف عليه بالطرق العلميَّة البحتة فهو محلُّ شَكٍّ، ولا يمكن أن نجزم بحقيقته، ومع سيطرة هذه النظرة جاء الفكر الإلحادي وعمَّ، وانتشر باسم العلم، فالعلم هو ما يمكن قياسه أو ما يَسْتَنِدُ إلى حقائق علمية ثابته مجردة، وبخلاف ذلك، لا يمكن الاعتقاد فيه، ثم جاءت جدلية الإيمان والعلم، وهل هما متلازمتان أم أنَّ هناك انفصالًا لعدم وجود ما يثبت وجود الخالق بالمنطق المجرد عند بعض علماء الغرب وغيرهم ممن تأثر بمنهجهم من الشرق.

وفي خضم هذه الجدليات وما طرحه علماء الإسلام من أدلة دامغة تثبت وجود الخالق بالمنطق العلميّ، والفلسفِيّ، وبأوجه التَّفكير المختلفة التي يستند إليها الآخرون في طريقة تفكيرهم وتصوراتهم، وفي ظلِّ هذا التَّراوح ومحاولة كلِّ فريق أن يثبت رأيه، ومع بروز تلك الاكتشافات العلميَّة الحديثة والتي أثبتها العديد من علماء الغرب ثم جاءت إشارات عنها في القرآن الكريم، قد بدا واضحًا عند أولئك المنصفين الذين لم يدرسوا القرآن من قبل بأنَّه لا يمكن أنْ يكون مَنْ أتى بهذا الكلامبشر، ومن هؤلاء العلماء موريس بوكاي الذي نحن بصدد الحديث عنه في هذا البحث، لذا في هذه المقدمة التمهيدية سوف نتناوله من حيث حياتُه ونشأتُه وأبرزُ أعمالِهِ.

موريس بوكاي حياته ونشأته وأبرز أعماله ومؤلفاته.

موريس بوكاي هو من الشخصيات التي ظهرت في القرن العشرين، حيث ولد سنة 1920 إلى أن توفاه الله بتاريخ 17 فبراير 1998، وقد نشأ في إحدى القرى الفرنسية الصغيرة تسمى بون ليفيك في إقليم نور منديمع أسرةٍ كاثوليكية متدينة، حتى أنهى مرحلة الثانوية في مدرسة كاثوليكية، التحق بكليَّة الطبِّ بجامعة السوربون الفرنسية، وكان أحد الأوائل على دفعته بالكليَّة، ثم عمل بمجاله في

الطبِّ بعد تخرجه، حتى صار أمهر وأشهر جرّاح في ذلك الوقت، وكان ملم بدراسات نقدية للعهد القديم والأناجيل، وله أهتمام في مقارنة الأديان السماوية [1].

إسهامات موريس بوكاي العلميّة:

لبوكاي نتاج علمي ثري، تمثل في عديد من الكتب والمؤلفات من أهمها الآتي:

الكتاب المقدس والقرآن والعلم، (La Bible، le Coran et la science**)، 1976م.**

مومياوات الفراعنة والطب، (Les Momies des pharaons et la médecine**)، 1987م.**

تأملات في القرآن، (Réflexions sur le Coran**)، 1989م.**

من أين يأتي الإنسان؟ ردود العلم والكتاب المقدس، (D'où vient la personne ? Réponses de la science et de la Bible**)، 1980م.**

موسى وفرعون؛ العبرانيين في مصر، (Moïse et Pharaon؛ Les Hébreux en Egypte**)، 1995م.**

وغيرها عديد من المحاضرات والمؤتمرات التي شارك فيها، وكذلك في الأفلام الوثائقية التي تحدَّثَتْ عَنْ نِتاجِهِ العلميّ ونظرياته ورؤاه.

غير أنَّ أبرزها كتاب بعنوان: "**labible, le Coran et la Science**"، من خلاله تبيَّنَ موقفُهُ العِلمِيُّ وتوجُّهُه المَنهَجِيُّ، كما ذكر البروفيسور عبد الله الشرقاوي: (يمكنني القول بأنَّ هذا الكتاب الذي كتبه موريس بوكاي للقارئ الفرنسي والغربي عمومًا، كان الأهمَّ في مشروعه الفكريِّ، وأنَّ بقيَّة كتبه ومحاضراته كانت تفصيلًا وشرحًا وتعليلا لما تضمَّنه هذا الكتاب). [2]

عندما صدر هذا الكتاب في باريس سنة 1976م نشرته دار **Seghers**، نفدت أول طبعة منه من جميع المكتبات، ثم طُبع بعد ذلك عدَّةَ مرَّات، ثم تُرجم من اللُّغة الفرنسيَّة إلى العربيَّة والإنجليزيَّة وعدَّة لغات أخرى، ثم أصبح بعد ذلك متداولًا في كل مكان في العالم.

كانَ له أهتمام كبير بعلم المصريات ودور علمي ريادي في مجال مومياء الفراعنة، واكتشافات ونتاج علمي ثري جدًا، على إثرها منحته الأكاديمية الوطنية الفرنسيّة للتاريخ جائزتها في التاريخ.[3]

من أقوال موريس بوكاي:

يقول موريس بوكاي في كتابه: "لقد أثارت الجوانب العلميّة من القرآن دهشتي، فلم أكنْ لأعتقدَ أنَّه من الممكن اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحدِّ من الدِّقَّة بموضوعات شديدة التنوع، ومطابقتها تمامًا للمعارف العلميَّة الحديثة، وذلك في نصٍ قد كُتِب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا"[1].

---

[1] الشرقاوي، محمَّد عبد الله، موريس بوكاي، ط1، (الدار البيضاء، المركز الثقافي للكتاب، 2021)، ص11.

[2] الشرقاوي، موريس بوكاي، مرجع سابق، ص35.

[3] الشرقاوي، المرجع السابق، ص62-63.

يقول كذلك: "لقد قمت في البداية بقراءة القرآن الكريم بموضوعيّة تامّة ودون أيّ فكر مُسَبَّق، باحثًا عما جاء في القرآن ومقارنة ذلك بما أتى به العلم الحديث. وكنت أعرف مُسَبَّقًا أنَّ القرآن الكريم يذكر أنواعًا عديدة من الإشارات العلميَّة، ولكن معرفتي بهذا الأمر كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنصّ العربيّ استطعت أن أحقِّق قائمة، أدركت بعد الانتهاء منها أنَّ القرآن لا يحتوي على أيَّة مقولة قابلة للنَّقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، وبنفس النّهج قمت بفحص ما جاء به العهد القديم والأناجيل.[2]

أمّا بالنسبة للعهد القديم فنجد في الكتاب الأول، أي سفر التكوين، حيث وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها[3] وبين ما جاء به العلم الحديث.

وأمّا بالنسبة للأناجيل، فإنَّنا نجد نصًّا إنجيليًّا في إنجيل مَتَّى يناقض بشكل جليٍّ مع إنجيل لوقا، وأنَّ هذا الأخير يقدِّم لنا صراحة أمرًا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدوم الإنسان على الأرض".

ثم يعقب ويقول بوكاي في كتابه أيضًا: "إنَّ أوَّل ما يثير الدَّهشة في روح مَنْ يُواجه نصوص القرآن لأوَّل مرّة، هو ثراء الموضوعات العلميَّة المعالجة، وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علميَّة فجَّة، في المقابل لا نكتشف في القرآن أية أخطاء، ولو كان كاتب هذا القرآن بشرًا، فكيف استطاع في القرن السابع الميلادي أن يأتي بتلك الحقائق التي لا تنتمي إلى عصره".

وهذا يشير إلى أنَّ هذا الرجل ما علَّقَ بهذا التعليق إلا بعد أنْ قَرَأَ النصوص القرآنيَّةَ بشكل متأنٍّ واطَّلعَ على الحقائق العلميَّة الموجودة في القرآن، ثم قارنها بما أثبته العلم الحديث في عصره.

إذا هناك العديد من العوامل ولأسباب التي أسهمت في جعل بوكاي يصل الى هذه المنهجية في العلاقه بين الدين والعلم.

من أبرزها نشأتة في بيئة كاثوليكية، بدء من الأسرة التي ينتمي إليها وتعليمية الذي كان في مدرسة كاثوليكية حتى مرحلة الثانوية، وهذا يعكس أن أمر الدين كان حاضر عنده، وكون أنه طبيب، ومن خلال دراستة في الطب يعكس إن الرجل صاحب عقلية باحثة وعاملة في حقل البحث والتفكير العلمي والعملي، وبالتالي يأتي دور قضية الربط بين الدين والعلم.

إلمامه بدراسة العهد القديم والأناجيل دراسةً نقدية، وما وجده من اختلاف في الروايات وتناقض مع الحقائق العلمية الحديثه، صنع لديه تساؤلات ومشاكل في ماهية الطريقة والمنهجية التي تربط بين الدين والعلم.

---

(1) بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد، ط3، (بيروت، المكتب الإسلامي، 1411=1990م) ص 147 -148.

(2) الشرقاوي، موريس بوكاي، مرجع سابق، ص116.

(3) يأتي تناول لأهم هذه المقولات.

ثالثًا ولَعهُ بعلم المصريات (**Egyptology**)، ووجدَ الحقيقة العلمية من خلال إجرى بعض الفحوصات على جثة رمسيس الثاني توصل أنه مات غرقًا[1]، ثم معرفة أن القران الكريم كان له السبق، وقد تحدث عن غرق هذه الجثه قبل أربعة عشر قرن.

العَلاقَةُ بَيْنَ الدِّينِ والعِلْمِ عِنْدَ بوكاي:

يَظْهَرُ موقف موريس بوكاي من العلاقة بين الدين والعلم موقفًا إيجابيًّا، فهو يدعو إلى استلهام المعارف من كلا المصدرين، الدين والعلم معًا، وفي هذا المعنى يقول " ألم يَكُنْ من العدل اليوم أن لا نهمل أيًّا من هذه التعاليم التي يمكن استخراجها من هذين المصدرين، طالما لا تبدو في الوقت الحاضر أنها تتعارض ".(2)

وفيما يتعلق بالأدلة الثابتة من الدين على وجود خالق لهذا الكون، فإنهقد أشار إلى أن الثقافة والعلم الحديث يجب أن يُدعما هذه الحقيقة، لا أن يناقضاها كما يدعي أصحاب الفكر الإلحادي، لذا نجده يقول: " يجب أن تكون الثقافة العلمية اليوم دافعة وموجهة للتعرف على وجود الخالق، لا أن تأخذه بعيدًا عن معرفته، لا سيما وأن ثمة شواهد متعددة قد أثبتها العلم لا يسع الفرد من خلالها إلا أن يسلم بأن لهذا الكون إلهًا".(3)

وقد دلل على فكرته هذه بقوله "إن الاكتشافات العلمية الحديثة التي ظهرت مؤخرًا مثل تكوين الجنين، والخلية الحية لهي خير شاهد على أن هناك قدرة إلهية وراء هذا التشكيل العجيب لهذه الجزيئات، والتي تعبر بجلاء على أنه ينبغي للعلم أن يتجه بشكل أكبر إلى معرفة ما وراء الطبيعة، كما لا ينبغي أن ننساق إلى الأقوال الميتافيزيقية التي تبعد الناس كثيرًا عن حقيقة خالق هذا الكون". (4)

ثم قام بالتنويه إلى أصل الإنسان من خلال الأديان السماوية الثلاثة، فيقول" وقد وجدنا بداخل الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام والتي تتحدث جميعها عن أصل الإنسان، لهو جدير بنا أنْ نبحث في العلوم الحديثة التي تشير إلى هذه الحقائق التي أثبتتها الأديان السماوية من قبل، وأن نخرج من النزعات الخلافية التي وجدت في السابق والتي وقفت جانبًا فيما يتعلَّق بالعلاقة بين الدين والعلم ". (5)

وفيما يتَّصل بإثبات العلم الحديث لخلق الإنسان فقد أشار إلى أنَّ العلم حتّى الآن لم يعطِ دليل عن أصل الإنسان بالنفي أو الإيجاب بينما دلت إلى ذلك الأديان السماوية، وأنَّ له خالقًا وهو الله سبحانه وتعالى، ولذا نجده يذكر ذلك بقوله " وفيما يتعلَّق بخلق الإنسان، فإنَّه ليس ثَمَّةَ تفسير

---

[1] هذه الحقيقة العلمية التي توصل اليها بوكاي كانت من أهم الأسباب التي أسهمت في دعوته إلى الإسلام ومعرفة كنه منهجه.

[2] بوكاي، موريس، ترجمة: فوزي شعبان، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، (المكتبة العلمية)، ص 206.

[3] بوكاي، المرجع السابق، ص 206.

[4] المرجع نفسه، ص 207.

[5] المرجع نفسه، ص 209.

في الأديان على وجود الإنسان إلا خالق هذا الكون، غير أنَّ العلم لا يعطي دليل واحدًا عن هذه الفرضيَّة، كما أنَّه لا يعطي دليلًا يناقض ما جاءت به الأديان من تفسيرات عن أصل الإنسان، وأنَّ هذا المخلوق الذي أوجده الله، والذي هو مكوَّنٌ من زوجين، ذكر وأنثى فإنَّهُ يجب أنْ يتكيَّف مع البيئة التي يعيش فيها، وأنَّه عبر الأزمان المتعاقبة قد يطرأ عليه بعض التغيُّرات كما ذكر ذلك القرآن، فإنَّ تلك السلالات قد يعتريها بعض التغيرات لكي تأتي سلالات مغايرة، كما يوجد معه مخلوقات أخرى تعيش على هذا الكوكب، وهم مختلفون بطبيعة الحال عن الإنسان في المسائل التشريحية والبيولوجية".(1)

ثم أكَّد فرضيته بأن العلم الحديث لم يُثبت حتى الآن أصل الإنسان فنجده يقول " إن نظرية كهذه والتي افترضها الدين، والتي تتماشى تمامًا مع ما أراده الله في خلق هذا الإنسان، غير أنه ليس هناك دليل عما يفترضه بعض العلماء عن أصل خلقة الإنسان بأنه قد جاء من سلالات مشابهة له في الشكل والتشريح من سلالة القردة. (2)

من خلال ما تقدم من النظرة التي يحاول فيها (بوكاي) من التوفيق بين ما جاء به الدين، وما أثبته العلم الحديث من جهة، أو على الأقلِّ فإنَّه ليس هناك ثمة تعارض أو تنافر بين ما جاء القرآن على وجه الخصوص وما جاءت به الاكتشافات العلمية الحديثة.

كذلك نجد أنَّه قد أثبت بما لا يدع مجالًا للشك أنَّهُ هناك غير معقولية أو استحالة لما ورد في بعض نصوص الإنجيل والتوراة وما أثبته العلم الحديث اليوم، سواء فيما يتعلَّق بأصل الإنسان على الأرض أو غيره من الأمور الأخرى، وما جاءت به هذه الديانات – أقصد بها اليهوديَّة والمسيحيَّة –غير أنَّ هذا التناقض لم يكن موجودًا في القرآن الكريم.

نخلص من ذلك أنَّ موريس بوكاي يحاول أنْ يوافق بين ما جاءت به النصوص الدينية وبين العلوم الحديثة، غير أنَّ هذا التوافق قد يكون غير وارد في بعض الأديان غير الإسلام ، وقد ذكر ذلك في الكثير من المواضع في مؤلفاته سواء في كتاب أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، أو التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، وهو بذلك من العلماء الذين سعوا دومًا إلى هذا التوفيق بين ما جاءت به النصوص الدينية، وما جاءت به العلوم الحديثة، ويبدو ذلك جليًا من خلال كلامه في معرض هذا البحث، وهو بذلك لا يسير وفق الكثير من العلماء الذين ناصبوا الدين العداء، وتخلوا عنه بالكلية سواء في عصره أو العصور السابقة له.

موريس بوكاي والإعجازُ العلمِيُّ في القُرآنِ:

من خلال تناول موريس بوكاي ما جاء في القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة من حقائق علميَّة قد أثبتها العلم الحديث مؤخرًا، وقد أدهشه ما جاءفي كلا الوحيين، فلم يصدق الرجل أنَّه يوجد دين يتناول المسائل العلمية التي ما ثُبّتت إلا في هذا العصر، لا سيَّما وأنَّ الدين لديه وهو أوربيُّ النشأة يصطدم بالحقائق العلميَّة الحديثةِ، وقد وجد ذلك ماثلا في التوراة، والإنجيل، حيث عبَّر

(1) بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، مرجع سابق، ص 211.

(2) بوكاي، المرجع السابق، ص 207.

عن ذلك في أكثر من موضع عن التناقضات الموجودة في كلا الديانتين لأبسط الحقائق العلميّة المعاصرة، إلّا أنَّه عندما وجد الإشارات العلميّة في القرآن، وأنَّها تتطابق مع ما جاء به العلم الحديث، لم يصدق ذلك في بادئ الأمر، لا سيَّما وأنَّ صورة الإسلام تشوبها الكثير من المغالطات في البيئة التي يعيش فيها، فكيف لهذا الدين الذي يَتَّسِمُ في هذه البيئة بالخوف وأنَّ مصدر معلوماته ما جاء في التوراة والإنجيل أن يحمل في صفحاته كل هذه الإشارات العلميَّة الصادقة.(1)

وهو بذلك يشير إلى القرآن الكريم، وما به من حقائق علميَّة لم يكن باستطاعة أحد أنْ يأتي بها لا في هذا العصر، ولا في هذه البيئة التي لم تكن ضمن الحضارات التاريخية في عصر من العصور، ثم تأتي في فترة تاريخية يصدر عنها – أي عن هذه البيئة – دين يتحدَّث عن إشارات علميّة لم يتمَّ التوصُّل إليها إلا في يومنا هذا.

يقول بوكاي: " والذي يدهش فكر من يواجه مثل هذا النصِّ للمرة الأولى، هو غزارة الموضوعات المطروحة، مثل الخلق، والفلك، وعرض بعض الموضوعات الخاصة بالأرض، وجنس الحيوانات والنباتات، وتكاثر الإنسان، تلك الأمور التي نجد عنها في التوراة دون نص القرآن أخطاء علمية كبيرة، تحملني على التساؤل: إذا كان كاتب القرآن بشرًا، فكيف أمكنه في القرن السابع الميلادي كتابة ما يثبت أنَّه اليوم متفق مع المعارف العلميّة الحديثة؟ وليس ثمَّة أيُّ شك في أنَّ النص الذي بين أيدينا للقرآن هو نص ذلك العصر". (2)

الإعجازُ العِلمِيُّ في القُرآنِ: مَفاهيمُهُ ودِلالَتُهُ:

قبل أن أشرع في تعريف الإعجاز العلمي، يتحتم أنْ أذكر تعريف التفسير العلمي للقرآن الكريم؛ لأنَّ الإعجاز العلمي جزءٌ من التفسير العلمي، ولأنِّي وجدت خَلْطًا بينهما، إذ مِن الباحثين مَن جعلهما بمعنى واحد، فأقول:

تعريف التفسير العلمي للقرآن الكريم:

لقد عُرِّف مصطلح التفسير العلمي للقرآن الكريم مِن قبل المؤَيِّدين والمعارضين له منذ ظهوره في القرن الرابع عشر الهجري إلى وقتنا هذا بتعاريف كثيرة لم تسلم مِن النقد (3)،وهو " الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما تَرَجَّحَتْ صِحَّتُه مِن نظريات العلوم الكونية(4).

---

(1) بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، مرجع سابق، ص 139-147.

(2) بوكاي، المرجع السابق، ص 149.

(3) سقا، مرهف، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن ضوابط وتطبيقات، ط1، (دمشق، دار محمد الأمين للطباعة والنشر، 1431هـ)، ص74.

(4) الزنداني، عبد المجيد، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (بيروت، المكتبة العصرية)، ص 24.

أولًا: تعريف الإعجاز العلمي لغةً واصطلاحًا.

الإعجاز العلمي في اللغة:

الإعجازُ: مصدر الفعل الرباعي "أعْجَزَ"، يُقال: أعْجَز، يُعْجِز، إعجازًا، فهو مُعْجِزٌ. ومنه اشتقت كلمة: "مُعْجِزة".

يُقال: أَعْجَزَني فلانٌ، أَي: فاتني وسبقني، وعَجَزْت عن طلبه وإدراكه، ومنه قوله تعالى: {وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ } [سورة العنكبوت:22].

والعَجْز: مصدر الفعل الثلاثي "عَجَزَ"، يُقال: عَجَزَ عن الشيء، يَعْجِزُ، عَجْزًا، فهو عاجز، أي: ضَعُف، ولم يقدر عليه؛ والعَجْزُ أصلُهُ: التَّأَخُّرُ عن الشيء. (1)

والعلمي: نسبة إلى العلم نقيض الجهل، وهو إدراك الشيء بحقيقته (2).

الإعجازُ العِلْمِيُّ في الاصْطِلاحِ:

لما كانَ الإعجاز العلمي مصطلحًا حادِثًا ومُعاصرًا أحدث تحرير تعريفه جدلًا بين الأوساط العلمية، لأن المقصود به هنا هو العلم التجريبي، كالعلوم الطبيعية التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار، ولا يعني هذا أنَّ ما سواه ليس بعلمي، وحتى لا يُفهَم أنَّ غيره من وجوه الإعجاز القرآني ليست علمية، ولكنه مصطلح اصْطُلِح عليه ليميزه عن غيره. (3)

إلا أنَّه تكاد تَتَّفق كلمة أغلب الباحثين على اختيار التعريف الاصطلاحيّ للهيئة العالميّة للإعجاز العلميّ، لذا آثرتُ الاقتصارَ عليه؛ نظرًا لِتَدَاوُلِه وشيوعه، ومناسبته لأحد المعاني اللغوية للإعجاز، وتَضَمُّنِه لضوابط أساسية في الإعجاز العلمي.

فقد عرفت الهيئة الإعجاز العلمي بأنَّه "هو إخبار القرآن الكريم أو السنَّة النبويَّةِ بحقيقةٍ أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم ". (4)

ثانيًا: التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

لقد شاع في العصر الحديث مصطلحُ الإعجاز العلمي، فأخذ مكانه في الأوساط العلمية، حتى طغى على التفسير العلمي، فاختلط الأمرُ بينه وبين التفسير العلمي.

---

(1) ابن فارس، أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، معجم مقاييس اللغة، (دمشق، دار الفكر 1399هـ)، الجزء الرابع، ص 232.

(2) الاصفهاني، الراغب، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مفردات ألفاظ القرآن، ط4، (دمشق، دار القلم، 1430هـ)، ص 580.

(3) الرومي، فهد بن عبد الرحمن، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط3(بيروت، مؤسسة الرسالة، 1418 هـ)، ص 545 -547.

(4) الزنداني، عبد المجيد، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مصدر سابق، ص 14.

ولم يسلم مِن هذا الخلطِ المهْتَمُّون بالإعجاز العلمي، حتى إنَّك تقرأ كتاباً عُنْوِن له بالإعجاز العلمي وما هو في الحقيقة إلا تفسيرًا عِلْمِيّا للقرآن الكريم، أو تقرأ اختلاف العلماء في قَبول الإعجاز العلمي بينما هو اختلافهم في قَبول التفسير العلميّ، وغير ذلك مِن صُوَر الخَلْط، فتَرَتَّب عليه ردُّ وانتقادُ الإعجاز العلمي.

ولكي ينجليَ هذا الخلط سأبين العلاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن، وأوجه الفرق بينهما.

أولاً: أوجه العلاقة بين التفسير العلمي، والإعجاز العلمي في القرآن.

التفسير العلمي أعمُّ من الإعجاز العلمي، إذ إنَّ كل إعجاز علمي هو في الأصل تفسير علميٌّ، ولكن ليس كلُّ تفسير علميٍّ إعجازًا علميًّا، فبينهما عموم وخصوص.

التفسير العلمي للقرآن يُعَدُّ مقدمة ضروريّة للوصول إلى الإعجاز العلمي في القرآن.

الإعجاز العلمي يُعَدُّ ثمرة التفسير العلمي وغايته. (1)

ثانيًا: أوجه الفرق بين التفسير العلمي، والإعجاز العلمي في القرآن.

الفرق بينهما من حيث التعريف:

تقدَّم تعريف للتفسير العلمي بأنه: الكشف عن معني الآية أو الحديث في ضوء ما بدت صحته من نظريات العلم الحديث.

وتعريف الإعجاز العلميّ في القرآن بأنّه:

إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانيَّة إدراكها بالوسائل البشريَّة في زمن الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ومن تعريفي التفسير العلميّ والإعجاز العلمي يتبين ما يلي:

أ- أنَّ الإعجاز العلمي في جملته إخبار عن أمر علمي مكتشف حديث والتفسير العلمي بيان للمعنى من قبل المفسر.

ب- أنَّ القول بالإعجاز العلمي مبنيٌّ على أساسِ وقاعدة التفسير العلمي، فكلُّ مَن حاول أن يهدم هذه القاعدة فهو مِن باب أولى مِن الرافضين والمُعارضين للقول بوجود الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. (2)

يجوز في التفسير العلمي استخدام النظريات التي غلب عليها الظن العلمي أنَّها صحيحة، أما الإعجاز العلمي فلا يجوز استخدام غير الحقائق العلمية المستقرة. (3)

---

(1) سقا، مرهف، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن ضوابط وتطبيقات، مرجع سابق، ص97-98.

(2) اللوح، عبد السلام حمدان، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المجلد الثاني، ط2، (غزة، آفاق للطبع والنشر والتوزيع، 1423هـ=2002م)، ص115.

(3) سقا، مرهف، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن ضوابط وتطبيقات، مرجع سابق، ص 98.

إن حقيقة الإعجاز العلمي لا خلاف في قبولها، إنما الخلاف في وجه من وجوه إعجاز القرآن، أما التفسير العلمي فمختلف في حقيقته، فمن العلماء من لا يجيزه مطلقًا، ولو توفرت فيه ضوابط قبوله.

ثمرة الإعجاز العلمي:

أمَّا ثمرة الإعجاز العلميِّ فهي إثبات صدق القرآن الكريم، وأنَّه وحي منزل من عند الله تعالى، وليس من قول الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، إذ أخبر عما كان خافيًا عن البشر إبان نزوله، فظهر بتقدُّم العلم التجريبي صحَّة ما أخبر به القرآن. (1)

ثالثًا: أهمية الإعجاز العلميِّ:

لقد حَظِيَ الإعجاز العلميُّ في القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة في العصر الحديث بمزيد من العناية والدراسة، فعقدت له مؤتمرات وندوات، وكتبت فيه أبحاث ومقالات، وألفت فيه كتب وموسوعات ورسائل علمية، وشكلت له هيئات ومعاهد وجمعيات ومواقع إلكترونية، وما كان جل هذا الاهتمام بالإعجاز العلمي إلا لأنه قد تضمن أسبابًا مهمة تدعو إلى الاهتمام والعناية به، والتي من أهمها:

الإعجاز العلمي يُعَدُّ من أساليب الدعوة إلى الله تعالى المناسبة لأهل هذا العصر من غير المسلمين الذين برعوا في العلم التجريبي، فإنَّ ما توصَّلوا إليه قد أشار القرآن إليه وأشار إليه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلم، وهذا له دور كبير في قبولهم الإسلام.

إنَّ إظهار حقيقة الإعجاز العلميّ في القرآن والسنّة له أثرٌ في تقوية الإيمان وتثبيته وغرس الثِّقة والاطمئنان بالقرآن والسنَّة في قلوب المسلمين ضدَّ أفكار التشكيك حولهما.

يقول الدكتور فهد الرومي: "ولا شكَّ أنَّ المؤمن عندما يقرأ اكتشافًا علميًا قد أثبته العلم بالبرهان، ثم يجد ذلك موجودًا في القرآن فإنه يشعر بطمأنينة قلبية كالتي طلبها إبراهيم عليه السلام، ويفرح ويُسّر كفرح الرسول صلى الله عليه وسلم بحديث الجساسة". (2)

الإعجاز العلميُّ فيه بيان لمدى التوافق بين الحقائق العلميَّة التجريبيّة الحديثة ونصوص القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة، وعدم مصادمتها مما يثبت أنَّها إلهيَّة المصدر، مقابل ذلك نجد التصادم والتعارض مع نصوص التوراة والإنجيل المحرف.

---

(1) الطيار، مساعد، الإعجاز العلمي إلى أين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، ص 2، 1433، ص 57.

(2) الرومي، فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط14، (الرياض، 1426هـ)، ص 316، وحديث الجساسة هو حديث النبي ﷺ عن المسيح الدجال، والذي أيده عليه الصحابي تميم الداري حينما رأه في إحدى الجزر، أنظر: صحيح مسلم، برقم (2942).

يقول الباحث الفرنسي الدكتور موريس بوكاي: بعد دراسة مستفيضة على التوراة والإنجيل والقرآن مقارنة بحقائقِ العلم: " لقد قُمْتُ أوّلًا بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أيّ فكر مُسَبَّقٍ. وبموضوعيّة تامّة، باحثًا عن درجة اتّفاق نصّ القرآن مع معطيات العلم الحديث، وكنت أعرف – قبل هذه الدراسة. وعن طريق الترجمات – أنَّ القرآن يذكر أنواعًا كثيرة من الظواهرِ الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنصّ العربي استطعت أنْ أحقِّق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أنَّ القرآن لا يحتوي على أيَّة مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم التوراة – فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي: سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا.

وأما بالنسبة للأناجيل فما تكاد تفتح الصفحة الأولى منها حتّى نَجِدَ أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة، ونعني بها شجرة أنساب المسيح، وذلك أنَّ نَصَّ إنجيل متى " يناقض بشكل جَلِيٍّ إنجيل لوقا"، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرًا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض (1).

فمثلًا: نجد سلسلة نسب المسيح في موضعين في الكتاب المقدس: إنجيل متى 1، وإنجيل لوقا 3: 23–38. ويتتبع متى في سلسلة نسب المسيح حتى إبراهيم. أما لوقا فيتتبع نسبه رجوعًا إلى آدم. ولكن توجد أسباب تدعو للإعتقاد بأن متى ولوقا في الحقيقة، يرجعان إلى سلسلتين مختلفتين تمامًا لنسب المسيح. فمثلًا يقول متى أن يوسف إبن يعقوب (متى 16:1)، بينما يقول لوقا أنَّ يوسف بن هالي (لوقا 23:3). حيث يتتبع متى سلسلة النسب من خلال سليمان بن داود (متى 6:1)، بينما يتتبع لوقا النسب من خلال ناثان إبن داود (لوقا 31:3).

إن دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فيه امتثال لأمر الله بالنظر والتأمل والتفكر في هذا الكون وما فيه من آيات بينة، ويقود هذا النظر إلى الإيمان بالله سبحانه وتوحيده وعبادته.(2)

ففي القرآن الكريم ما لا يقل عن سبعمائة آية كونية، بل أوصلها بعضهم إلى ثمانمائة آية تتحدَّث عن معالم هذا الكون، وما خلق الله فيه من السماوات، والأرض، والشمس والقمر والنجوم، والسحاب، والمطر، والجبال، والبحار والأنهار، والأشجار، والدواب، وهذه الآيات الكونية وما تدل عليه من حقائق علمية لم تذكر في القرآن الكريم إلا للاستدلال بها على قضايا كبرى، كالألوهية، والنبوات والبعث.

إنَّ دراسة الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم تقودُ إلى النظر والتدبُّر في آيات القرآن الكريم، لاستخراج إشارات ودلالات تدل على حقائق علمية مكتشفة حديثة.

يقول الدكتور زغلول النجار: "إنَّ في إثارة موضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والسنة المطهرة استنهاضاً لعقل المسلم، واستثارة للتفكير الإبداعي فيه، وتشجيعاً على

---

(1) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن، مرجع سابق، ص 13–21.

(2) الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، (عمّان، دار عمار، 1409هـ)، ص 263.

استعادة الاهتمام بقضية العلوم والتقنية التي تَخَلَّفت فيها الأمةُ مؤخرًا، في الوقت الذي تقدَّمت فيه دول العالم الصناعية تقدمًا مُذهِلًا"(1).

إذن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وسيلة إلى غاية سامية ونبيلة، تَتَجَلَّى في إثبات أنَّ القرآن الكريم كلام الله عز وجل، وأنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله.

رابعًا: نماذج تطبيقيَّة من الإعجازِ العِلمِيّ في القُرآنِ الكَريم

أولًا- إعجاز القرآن العلمي في الحاجز بين البحرين:

قال تعالى: {۞وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٥٣} [سورة الفرقان:53].

قوله تعالى: مرج البحرين، وجعل بينهما حجرًا محجورًا، إعجاز علميٌّ في علم البحار، وقبل أنْ نَتَحَدَّثَ عنه نورد ما قاله علماؤنا السابقون حول تفسيرها:

جاء في تفسير "أضواء البيان": " اعلم أن لفظة (مرج) تطلق في اللُّغة إطلاقين، الأول: مرج بمعنى: أرسل وخلّى، من قولهم: مرج دابته، إذا أرسلها إلى المرج - وهو الموضع الذي ترعى فيه الدواب - وعلى هذا فالمعنى: أرسل البحرين وخلّاهما لئلّا يختلط أحدهما بالآخر.

والإطلاق الثاني: مرج بمعنى: خلط، ومنه قوله تعالى: {فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥} [سورة ق:5]. أي مختلط.

فعلى القول الأول: فالمراد بالبحرين: الماء العذب في جميع الدنيا، والماء الملح في جميعها، وعلى هذا التفسير فلا إشكال، وأما على القول الثاني بأن مرج بمعنى خلط، فالمعنى: أنه يوجد في بعض المواضع اختلاط الماء الملح والماء العذب في مجرى واحد، ولا يختلط أحدهما بالآخر، بل يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، وهذا الذي ذكره - جل وعلا- في هذه الآية، جاء موضحًا في غير هذا الموضع، كقوله تعالى في سورة فاطر: {وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ ١٢} [سورة فاطر:12]، وقوله تعالى: {مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠} [سورة الرحمن:19-20]. أي: لا يبغي أحدهما على الآخر فيمتزج به، وهذا البرزخ الفاصل بين البحرين المذكور في سورة الفرقان وسورة الرحمن، قد بينه تعالى في سورة النمل أنه حاجز حجز به بينهما وذلك في قوله - جل وعلا-: {إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١} [سورة النمل:11].

{أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١} [سورة النمل:61]. وهذا الحاجز هو اليبس من الأرض، الفاصل بين الماء العذب والماء الملح على التفسير الأول.

(1) النجار، زغلول راغب، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط1، (بيروت، دار المعرفة، 1430هـ = 2009م)، ص 156.

وأما على التفسير الآخر: فهو حاجز غير مرئي للبشر من قدرة الله، وقد أكد شدة حجزه بقوله تعالى (وحجرًا محجورا) على أن في قوله هنا: (وحجرًا) أي: منعًا، وأن (محجورًا) توكيد على المنع، أي: منعًا شديدًا للاختلاط بينهما. (1)

وبهذا التفسير يتبيَّن الإعجاز العلمي في الحاجز بين البحرين كيف أنَّ الآية القرآنية أخبرت أنَّ مياه الأنهار العذبة إذا انسابت واختلطت بمياه البحر المالحة لا تمتزج بها لأن ثمة حاجز يباعد بينهما بقدرة الله تعالى، فيمنع طغيان كل منهما على الآخر، ويحافظ كل ماء على خصائصه، وهذا الحاجز الذي أخبر عنه –سبحانه وتعالى – في هذه الآية الكريمة بأدقّ وصف وأوجز عبارة، توصَّل العلم الحديث في أبحاثه ودراساته البحرية إلى اكتشافه، وأصبح من القضايا الثابتة علميًّا، فقد توصَّلوا إلى أنّه مزيج من المياه المالحة والعذبة، وهي منطقة فاصلة بين النهر والبحر متحركة بينهما بحسب مد البحر وجزره، وتزداد الملوحة فيها كلما قربت من البحر، وتزداد درجة العذوبة كلما قربت من النهر، وتعيش فيها كائنات حية لا تستطيع الخروج إلى مياه البحر والنهر، لعدم ملاءمة البيئة لها.

هناك العديد من نماذج الاكتشافات العلمية منها التقاء البحر الأحمر مع المحيط الهندي في مضيق باب المندب، والتقاء البحر الأبيض المتوسّط مع المحيط الأطلسي عند مضيق جبل طارق(2).

ثانيًا–إعجازُ القُرآنِ العِلمِيّ في أنَّ الجلد هو مركزُ الإحساسِ بالألمِ:

قال الله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦} [سورة النساء:56]، أخبرت هذه الآية الكريمة عن حقيقة علمية في علم التشريح توصل إليها العلماء مؤخرًا، وبإلقاء نظرة مختصرة على ما جاء في بيان معنى الآية يزداد الأمر وضوحًا وجلاء، قال ابن كثير رحمه الله –: "يخبرنا الله تعالى عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله، فقال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا } [سورة النساء:56]، أي: تدخلهم فيها دخولا يحيط بجميع أجرامهم وأجزائهم، ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم، فقال: { كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ} [سورة النساء:56]، قال الأعمش، عن ابن عمر: (إذا احترقت جلودهم بدلوا جلودًا غيرها بيضاء أمثال القراطيس)، رواه ابن أبي حاتم. (3)

---

(1) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، تفسير أضواء البيان، ط1، (الرياض، دار الفضيلة، 1426هـ = 2005م)، ص1045 -1046.

(2) النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص211-212.

(3) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، تحقيق: سامي بن مُحَّد السلامة، المجلد الثاني، ط1، (الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1418هـ = 1997م)، ص 336 – 337، وانظر: أبي حاتم، عبد الرحمن بن مُحَّد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد مُحَّد الطيب، تفسير القرآن العظيم، المجلد1، ط1، (الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1417هـ=199م)، ص982.

تجد في تخصيص الجلود بالعذاب في الآية دون اللحم والعظام إشارة ودلالة إلى ما توصل إليه العلماء مؤخرًا في علم التشريح، وثبت عندهم يقينيًا، وهو: أنَّ الجلد هو مركز الخلايا الحسية عند الإنسان فقد كشف علم الطبِّ عن الإعجاز في هذه الآية الكريمة بعد نزولها بقرون عديدة، وهو أنَّ أعصاب الألم تنتشر في الطبقة الجلدية، وأنَّ الطبقة الجلدية حساسة وتشعر شعورًا مرهفًا دقيقًا بأيَّة لمسة وأيَّة صدمة، أما الأنسجة والعضلات والأعضاء به فالإحساس فيها ضعيف، ولذلك يعلم الطبيب أنَّ الحرق البسيط الذي لا يتجاوز الجلد يحدث ألمًا شديدًا، بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد بعدما تأكله النار إلى الأنسجة، فإنَّه بالرغم من شدَّتِهِ وخطره لا يحدث ألما كبيرًا. (1)

أصلُ الإنسانِ بَينَ العِلمِ والكُتُبِ السَّماوِيَّةِ عند بوكاي

في هذا المبحث يتناول الباحث أصل الإنسان في الكتب المقدسة (التوراة – الإنجيل – القرآن) ثم مقارنة ما جاء في تلك الكتب ما أُثبت حديثًا من قبل العلماء من خلال أقوال موريس بوكاي.

أولًا: خلق الإنسان في الكتاب المقدس:

يذكر موريس بوكاي كما جاء في كتابه (أصل الإنسان بين العلم والكتب السماويَّة) "أنَّ القسَّ دي فوه يقر بأن سفر التكوين قد ابتدأ بروايتين عن الخلق قريبتين من بعضها، وعلينا أن نشدد على هذه الازدواجية إذْ أنَّنا نجهل تمامًا وجود روايتين"(2):

– الأولى، وهي تأليف رهبان معبد القدس وتعود للقرن السادس قبل الميلاد، وتُسَمَّى: الرواية الكهنوتية، وهي الأطول، وقد وضُعت في بداية السفر وأدخلت في الرواية الطويلة العائدة لخلق السَّماوات والأرض والكائنات الحية، وأنَّ خلق الإنسان هو تعبير عنها، غير أنَّه لم يُذكر إلا ببضع كلمات.

– الثانية، وهي "الرواية اليهويَّة" ويعود تاريخها إلى القرن التّاسع أو العاشر قبل الميلاد، قصيرة جدًّا ومذكورة بعد الرِّواية الكهنوتيَّة. ويحتلُّ خلق الإنسان المكان الأكبر فيها.

– "الرواية الأولى" (سفر التكوين، الإصحاح الأول بكامله، والفقرات من (1 إلى 4) من الإصحاح الثاني.

– الإصحاح الأوَّل، فقرتان 1 و2:

"في البدء خلق الله السموات والأرض* وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه".

–فقرة 3 ـ 5:

"وقال الله ليكن نور فكان نور * ورأى الله النور أنَّه حسن * وفصل الله
بين النّور والظّلمة ودعا الله النور نهارًا والظلمة دعاها ليلًا وكان مساء وكان صباح يوم واحد".

(1) أحمد، يوسف الحاج، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية، مكتبة ابن حجر، دمشق، 2003، ص 154.

(2) بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، مرجع سابق، ص 155.

-فقرة 4- 8:

" وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد * وكان كذلك * ودعا الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوما ثانيًا".

-فقرة 9- 13:

"وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة * وكان كذلك * ودعا الله اليابسة أرضًا. ومجتمع المياه دعاه بحارًا * ورأى الله ذلك أنه حسن * وقال الله لتنبت الأرض عنبًا وبقلًا يبزر بزرًا وشجرًا ذا ثمر يعمل ثمرًا كجنسه بزره فيه على الأرض * وكان كذلك * فأخرجت الأرض عنبًا وبقلًا يبزر بزره كجنسه وشجرًا يعمل ثمرًا بزره فيه كجنسه * ورأى الله ذلك أنَّه حسن * وكان مساء وكان صباح يومًا ثالثًا".

-فقرة 14 - 19:

"وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل. وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين * وتكون أنوارًا في جلد السماء لتنير على الأرض * وكان كذلك * فعمل الله النورين العظيمين. النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم * وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض * ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة * ورأى الله ذلك أنه حسن * وكان مساء وكان صباح يومًا رابعًا".

-فقرة 20 - 23:

"وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء * فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه * ورأى الله ذلك أنه حسن * وباركها الله قائلًا أثمري وأكثري واملأي المياه في البحار. وليكثر الطير على الأرض. وكان مساء وكان صباح يومًا خامسًا".

-فقرة 24 – 31:

" قال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها * وكان كذلك * فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها * ورأى الله ذلك أنّه حسن * وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السَّماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض * فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكر وأنثى خلقهم * وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض * وقال الله قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرًا على وجه كل الأرض وكل ثمر فيه ثمر شجر يبزر بزرًا، لكم يكون طعامًا * ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعامًا * وكان كذلك * ورأي الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدًا * وكان مساء وكان صباح يومًا سادسًا".

الرواية الثانية:

وهي تلك الإصحاح السابق دون انتقال.

- الإصحاح الثاني: فقرة: 4 – 7:

" يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات، كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد، لأنَّ الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض * ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض * وجبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حيوية: فصار آدم نفسًا حية".

ثم بعد وصف الجنة الأرضية بفقرة (8 – 17) تتابع الرواية بخلق عالم الحيوان والمرأة:

- الإصحاح الثاني: فقرة: 18 – 25:

" قال الربُّ الإله ليس جيدًا أنْ يكون آدم وحده، فاصنع له معينًا نظيرًا * وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها * فدعا آدم باسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية، وأما لنفسه فلم يجد معينًا نظيرًا * فأوقع الرب الإله سباتًا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحمًا * وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم * فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي * هذه تدعى امرأة لأنَّها من أمره أخذت * لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدًا واحدًا * وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان".(1)

التعليق على الروايتين السابقتين:

إنَّ الروايتين تختلفان في أكثر من موضع: وبصورة خاصة أصل الرجل والمرأة وترتيب ظهور الرجل بالنسبة إلى سائر الأنواع الحيوانية، بالإضافة إلى أن المعنى المعطى بالكتاب المقدس لخلق الرجل لا يمكن فهمه دون فوارق دقيقة حتى في صلب كل رواية.

وفي إطار فقرة السابقة من سفر التكوين بالكتاب المقدس (الإنجيل) قد أشار بوكاي إلى ما يلي :(2)

أنَّ حالة الكون قبل الخلق في الفقرتين الأوليتين، قد أشارت إلى صورة الأرض الفارغة، تعني على ما يبدو بأنَّ الخلق قد بدأ انطلاقًا من العدم.

وكما أشارت رواية اليوم الأول (فقرة 3 – 5) المتعلقة بخلق النور مع وجود صباح ومساء، حيث كما نعلم بأن النور الذي يعم الكون هو حاصل التفاعلات المركبة التي تحصل على مستوى الكواكب، والحال أنَّه في هذه المرحلة من الخلق، لم تكن الكواكب قد كُونت بعد، إذ أن أنوار جلد السماء لم تذكر إلا في الفقرة (14) ، على أنَّها من خلق اليوم الرابع لتفصل بين النهار والليل ومن أجل تنوير الأرض، وهذه الإشارة من وجهة نظر بوكاي صحيحة تمامًا، غير أنَّها لا تتوافق

---

(1) إن نصوص التوراة والانجيل التي أوردها بوكاي نقلها عن الترجمة العربية للكتاب المقدس التي نشرتها جمعيات الكتاب المقدس المتحدة.

(2) بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، مرجع سابق، ص 158.

مع ما جاء في اليوم الأول من تكوين النور في الكون، على أنه يجب أن يتكون الخلق بفعل النور خلال ثلاثة أيام، ومن ناحية ثانية، فإن وجود المساء والصباح في اليوم الأول لم يكن إلا مجازية : إذ أنَّ المساء والصباح باعتبارهما عنصري اليوم، لا يمكن تصورهما إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت نور الشمس.

بينما (فقرة 9–13) والتي أشارت إلى اليوم الثَّالث من الخلق، والمتصلة بظهور اليابسة التي تحررت من المياه المتجمعة في كتلة واحدة وهذا أمر مقبول تمامًا، أمَّا إنبات الخضرة على الأرض مع الأشجار والثمار وهذا غير معقول أبدًا لأنَّ الشمس ونورها ضروري لكل نبات، لم تكن قد خلقت بعد، وهناك أيضًا في هذه فقرة تأكيد على ثبات الأنواع النباتية وبقلًا يبزر بزرًا كجنسه.

تذكر الرواية أنَّه في اليوم السادس (فقرة 24 –31) تخرج الأرض كائنات بريَّة، وأنَّ الله سيخلق الإنسان على صورته، من مصدر غير محدّد، وستخلق المرأة كذلك دون تفصيل لموضوع منشأها، في حين أنَّ الرَّواية اليهوية الأقدم في التاريخ، كانت قد ذكرت منشأ الرجل بدءًا بتراب الأرض –وولادة المرأة من آدم، وقد اعتبر الإنسان في قمة الخلق مهيمن على سائر العالم الحيواني، وثبات الأنواع مؤكد بالنسبة للحيوانات البرية، كما أنها كانت مؤكدة نسبة للحيوانات البحرية في رواية اليوم الخامس. (1)

وتحدِّد الرواية الكهنوتيَّة ولادة الرجل على الأرض بعد خلق سائر الكائنات الحية، غير أنَّنا تحققنا بالنِّسبة لسائر العالم الحيواني، أنَّ تسلسل ظهوره المذكور في الرواية غير مطابق تمامًا مع ما أثبته العلم الحديث.

من خلال ما تقدم من آيات سفر التكوين بالكتاب المقدس (الإنجيل) وتعليقات بوكاي والتي أشارت إلى أن هناك إلى وجود تناقضات بين ما جاء في خلق الإنسان والكون وبين ما جاء به العلم الحديث.

– خَلْقُ الإنسانِ في التَّوراةِ:

وفيما يتعلق بخلق الإنسان في التوراة يذكر بوكاي الإشارات التالية:

لم يكن لخلق الأرض والسماء من ذكر إلا عبارة واحدة فقط، وتمحورت الرواية حول الرجل.

لا أثر لوجود نبات في اليوم الذي خلق فيه الرجل، ذلك لأن الله لم يكن قد أنزل بعد المطر على الأرض، وأنه لم يكن فيها ثمة رجل لحرث الأرض، وتشير الرواية إلى أن الله صور الرجل من الصلصال، وهنا بالتالي، فإن المنشأ بدء بالتراب مشار إليه بكل المعنى الرمزي الذي يرتبط بالمنشأ، بالإضافة إلى أنه قد أوضح فيها بأن الله صور كذلك الحيوانات البرية والطيور من التراب دون تحديد ظاهر الفترة بالنسبة لخلق الرجل. وهكذا، فإن المنشأ من التراب في هذه القصة، هو الطابع المشترك لجميع الكائنات الحية أي البشر والحيوانات. (2)

---

(1) بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، مرجع سابق، ص 159.

(2) بوكاي، المرجع السابق، ص 161.

وتذكر فقرة الأخيرة خلق المرأة بدءًا بقطعة من جسد الرجل، والرواية اليهوديّة مميزة برمزيتها، إذ أنَّ (موريس بوكاي) يشدد على خلق الرجل من تراب، هذه الرمزية مميزة حتى في الكلمات، وفي الواقع فإن الاسم الذي حمله أول رجل آدم، هو اسم جامع في اللُّغة ويعني الرجل، وهذه الكلمة مشتقة من أدمة وتعني : التراب، لأن حياته متعلقة بالتراب، لكن ثمة معنًى ثانيًا رمزيًا، وقد تردد كثيرًا في بقية أقسام الكتاب المقدس، وفي سفر الجامعة الإصحاح الثالث فقرتان (19، 20) ، حيث يتمسك مؤلف الكتاب المقدس بجماعية مصير أبناء آدم وسائر المخلوقات الحية،ويذهب كلاهما إلى مكان واحد،كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما"هذه العودة للناس إلى التراب ، ترددت في المزمور 104 (الفقرة 29)، ويذكر سفر أيوب (الإصحاح 34 ، الفقرة 15) أيضًا بعودة الإنسان نهائيًا إلى هذه الحالة .

– أَصْلُ الإنسانِ في القُرآنِ الكَريم:

يذكر موريس بوكاي أنَّ الجديد الذي يتميَّز به القرآن الكريم عن الكتاب المقدس، هو الحديث المتتالي عن القدرة الالهيَّة، فإنَّ القرآن الكريم يذكر ظواهر طبيعيَّة متعدِّدة، ثم يذكر أسبابها أو آثارها التي تستحقُّ التفكير، ومنها الآيات التي تتحدَّث عن خلق الإنسان. (1)

أَصْلُ الحَيَاةِ:

بالسؤال عن أصل الحياة، وأينَ نجده؟ يشير بوكاي أن القرآن الكريم يجيب على هذا السؤال بوضوح تام، بأن الآيات في القرآن الكريم تحدد أصل الحياة وهوا الماء، وكذلك خلق الكون كله، كما في قوله تعالى: {أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠} [سورة الأنبياء:30].

ويعلق موريس بوكاي على هذه الآية بقوله: "إنَّ مبدأ أصل الحياة لا يرقى إليه الشك، ويمكن للجملة أن تعني أيضًا، أن كل شيء حي قد جُعل من الماء مادة أساسية، أو أن كل شيء حي من الماء. والمعنيان المحتملان مطابقان بكل دقة للمعطيات العلمية". (2)

إنه من الثابت بأن الحياة أصلها الماء، وأن الماء هو المكون الأساسي لكل خلية حية، ولا حياة ممكنة بدون ماء، وكذلك في قوله تعالى: {وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ } [سورة النور:45]، هنا الآية تشير إلى السائل المنوي الذي يُعَدُّ أصل خلق الإنسان بالتزاوج، فكلُّ تقديمات القرآن الكريم عن أصل الحياة، هي مطابقة بشكل دقيق للمعطيات العلمية الحديثة، ولا مكان في القرآن الكريم لأي أسطورة كانت تغزو ذلك العصر عن أصل الحياة، في عصر نزول هذا القرآن. (3)

أصل خلق الإنسان في القرآن الكريم:

---

(1) بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، مرجع سابق، ص 181.

(2) بوكاي، المرجع السابق، ص 181.

(3) بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، مرجع سابق، ص 181.

يشير القرآن الكريم إلى خلق الإنسان من الأرض أو تراب أو تحولاتها في أكثر من موضع من القرآن، كما في قوله تعالى: {وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧} [سورة نوح:17]، و قوله تعالى: {۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥} [سورة طه:55].

وفيما يتعلق بخلق الإنسان من تراب يقول سبحانه وتعالى: {فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ } [سورة الحج:5]، وفيما يتعلق بخلق الإنسان من طين، قوله تعالى : {هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ } [سورة الأنعام:2]، وقوله تعالى : {وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧} [سورة السجدة:7]. وفي إطار تعليق موريس بوكاي على كل تلك الآيات يقول: "وأعتقد بأن السلالة من طين يجب أنَّ تعني العناصر الكيميائيَّة المختلفة التي تكونها والمستخرجة من الماء وهو العنصر الغالب بكل ثقله والماء الذي يعنيه القرآن الكريم على أنه أصل كل حياة، وذكر في الآية التالية باعتباره العنصر الأساسي، كما في قوله تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤} [سورة الفرقان:54]، والبشر المعني هنا آدم، كما هو مذكور في مواضع أخرى من القرآن الكريم"(1) .

أمَّا خلق المرأة، فقد أُشير إليها في عدة آيات، ومنها: {۞هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ } [سورة الأعراف:189]، العديد من الآيات الأخرى والتي ترمز إلى أصل الإنسان، مع رؤى واضحة ذكرت عن المصير الأخير، والقدر الذي يعيد الإنسان إلى الأرض ليخرج منها قبل يوم الحساب، غير أنَّه هناك أيضًا، على ما يبدو لي، إشارةٌ إلى التكوين الكيميائي لجسم الإنسان. (2)

-خلق الإنسان والعلم الحديث:

يقول بوكاي فيما يتعلق بإثبات خلق الإنسان من الناحية العلمية، بالنسبة للديانات التوحيدية، ليس ثَمَّة تفسير ممكن لوجود الإنسان على الأرض إلا أنه من خلق الله، وهذا الأصل مؤكد من قبل روايتي العهد القديم بقدر ما جزم به القرآن الكريم، غير أنَّ العلم لا يعطي أي دليل يثبت هذه الفرضية بشكل قاطع، وهو لا يعطي كذلك دليل مناقضًا ويقود إلى الظن بأن الأمر يتعلق بأساطير لا يعتد بها.(3)

يقول بوكاي "إن ما تم الإشارة إليه سابقًا ما هي إلا فرضية، لأنه ليس هناك دليل علمي للتأكيد على أن القدرة الآلهية لم تكن لتتجلي في هذه الظروف على مستوى سلالة مستقلة مفترضة حيث إنَّ أية بقية متحجرة لم تكتشف بعد، ويستتبع ذلك بأن أي برهان علمي لا يؤيدها بشكل قاطع"(4).

---

(1) بوكاي، المرجع السابق، ص 185.

(2) بوكاي، المرجع نفسه، ص 188.

(3) بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، مرجع سابق، ص 211.

(4) بوكاي، المرجع السابق، ص 212.

خلاصة تعليقات بوكاي عن أصل خلق الإنسان في القرآن الكريم، أنَّه ليس ثمة معلومات علمية تؤكد أو تنفي هذه الحقائق عن الإنسان، كما أنَّ جميع الدلائل تشير إلى منطقية ما تناوله القرآن في هذا الشأن، وليس ثمَّة تناقضات بين تلك الروايات التي جاءت في القرآن من كونه قد خُلق من تراب أو من طين أو صلصال، فكلها أصول واحدة وعناصر واحدة.

نَماذِجُ مِنَ الإعجازِ العِلْمِيّ لِلقُرآنِ عِنْدَ بوكاي.

ذكر موريس بوكاي في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) أنَّ العديد من الدلائل العلميَّة والتي قال بها القرآن الكريم، والتي تُثبت بدلالة واضحة على إعجاز هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل، لا من بين يديه، ولا من خلفه، كونه تناول هذه المعلومات التي لم يكن إثباتها متاحًا في الوقت التي قيلت فيه، وكذلك الظروف والبيئة التي نزلت فيها هذه المعلومات، حيث كما يعلم الجميع أنَّ البيئة العربية في تلك الفترة كانت بعيدة الصلة عن الحضارة المعرفية أو العلم التجريبي بأي شكل من الأشكال، وفي ضوء ما سبق يذكر بوكاي العديد من الإشارات العلمية والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم والتي منها:

أولًا: خَلْقُ السَّماواتِ والأَرضِ:

ذكر بوكاي بعض الإشارات التي تدل على صدق القرآن الكريم وأنه متوافق مع العلم الحديث فيما يتعلق بخلق السماوات والأرض، ومن هذه النقاط ما يلي:

أنَّ الدورات الستِّ لخلق السماوات والأرض حسب إفادات القرآن تغطي تشكيل الاجرام السماوية والأرضية، وتطور هذه الأخيرة حتى تصبح مع أقواتها صالحة لسكن الناس، وقد تم تشكيل الأرض وماؤها، وتقدير أقواتها في خبر القرآن، في أربعة أزمان، قال تعالى: {ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢} [سورة فصلت:11-12]، فهل علينا أن نرى العصور الجيولوجية التي وصفها العلم المعاصر، بعد أن ظهر الإنسان كما نعلم في العصر الرابع ؟ إن هذا ليس سوى مجرد افتراض. ولا يستطيع أحد الاجابة على هذا السؤال. (1)

ولكن ينبغي أن نلاحظ بأنه كان لا بد لكي تشكل الأجرام السماوية، وكذلك الأرض كما توضحه الآيات 9 – 12 من نفس السورة من مرحلتين، ويعلمنا العلم بأنه إذا ضربنا مثلا تشكل الشمس وتابعها الأرض، فقد تم على امتداد زمني طويل بتكثف الطبقة الغازية البدائية وانفصالها، وهو بالضبط ما يقوله القرآن ببساطة بذكر امتدادات زمنية حققت انطلاقًا من الدخان السماوي تلاحمًا ثم انفصالًا، وبهذا نسجل إذًا هنا تشابهًا بين النظرة القرآنية والنظرة العلمية. (2)

---

(1) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 181.

(2) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 181.

هناك تطابق بين تأكيد وجود " الدخان " في الحقل البدائي للكون الذي تكلم القرآن عنه ليعبر عن حالة التسلط الغازية للمادة التي تتكون منها إذ ذاك، ومفهوم الطبقة الغازية البدائية حسبما يقوله العلم الحديث. (1)

موافقة العلم على كثرة السماوات المعبر عنها في القرآن بالعدد الرمزي سبعة الذي رأينا معناه سابقًا، وذلك من التجارب التي قام بها علماء الفيزياء الفلكية (Astrophysics) عن الأنظمة الفلكية وعددها الضخم، وعلى العكس فإن كثرة الاراضي بالمقابلة على الأقل في بعض الصور عن أرضنا هي نظرية مستخرجة من نص القرآن، ولكن العلم لم يكشف عن حقيقتها بعد، بينما يعتبرها الاختصاصيون كما لو كانت حقيقة مقبولة تمامًا.

على أنَّ معطيات العلم في تكوين العالم إذا لم تؤيد جميع المسائل المطروحة من القرآن في هذا الموضوع، فإنه على كل حال لا يوجد أقل تعارض بينها وبين المعطيات القرآنية في ذلك، وأن هذه الحقيقة تستحق أن تسجل لصالح الوحي(2).

- عِلْمُ الفَلَكِ في القُرآنِ:

تعاقب النهار والليل:

يذكر موريس بوكاي في كتابه (التوراة والانجيل والقرآن والعلم)، في تعاقب الليل والنهار، أنَّ أغلب البشر يغفل عن ذكر حركة الشمس كلما تعاقب النهار والليل في عصر كان الناس فيه يعتقدون بأن الأرض مركز الكون وأن الشمس متحركة بالنسبة إليها، وهذا الاعتقاد لم يرد له ذكر في القرآن الكريم الذي عالج هذا الموضوع فيما يلي:

قال تعالى: {يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا} [سورة الأعراف:54]، وقوله تعالى: {وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ٣٧} [سورة يس:37]، وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ } [سورة لقمان:29]، وقوله تعالى: {يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ } [سورة الزمر:5]. ثم يعلق على هذه الآيات: إن وضوح الآية الأولى لا يعوزه شرح، والآية الثانية ترسم لنا صورة فقط، أما الثالثة والرابعة فهما الآيتان المهمتان والاساسيتان اللتان يمكنهما أن تقدما لنا فائدة عظيمة فيما يتعلق بامتداد التداخل، وبخاصة تكور الليل على النهار وتكور النهار على الليل. (3)

إنَّ الذي شاهده رواد الفضاء الأميركيون وآلات التصوير في المراكب الفضائية، وبخاصة من مسافات بعيدة عن الأرض، من القمر مثلًا أنَّ الشمس تضيء باستمرار باستثناء حالات الكسوف نصف الفضاء الفلكي المحيط بالأرض والمواجه لها، بينما يظل النصف الآخر غارقًا في الظلام، وفي نفس الوقت الذي تدور فيه الأرض حول نفسها، وتبقي الإضاءة ثابتة فإن منطقة مضاءة على شكل نصف فضاء فلكي تؤدي دورتها حول الأرض في مدَّة أربعٍ وعشرينَ ساعة

(1) بوكاي، المرجع السابق، ص 182.

(2) المرجع نفسه، ص 182.

(3) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 198 – 199.

بينما يكمل نصف الفضاء الفلكي الآخر الغارق في الظّلام نفس الدورة في مثل تلك المدة من الوقت، هذه الدورة الدائبة للنهار والليل هي كاملة الوصف في القرآن، وقبول إدراكها يسير الفهم الإنسانيُّ في هذه الأيام لأننا نملك المفهوم الذي يؤكد ثبوت الشمس النسبي ودوران الأرض، وأن امتداد هذا التكور المستمر مع تداخل قسم بآخر بشكل متعاقب معبر في القرآن كما لو كان الناس قد تصوروا في ذلك الزمن كروية الأرض بينما لم يكن الأمر كذلك.(1)

وفيما يتعلق بقوله تعالى: {فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠} [سورة المعارج:40]، يُعلّق بوكاي على هذه الآية في مضمونه على أنه ينبغي أن تربط بهذه الاعتبارات عن تعاقب النهار والليل ما ذكرته بعض آيات القرآن عن تعدد المشارق والمغارب، ومن يلاحظ مشارق الشمس ومغاربها يعرف جيدًا أن الشمس حسب الفصول تشرق من نقاط مختلفة في المشرق وتغرب أيضًا في نقاط مختلفة من الغرب، أي بإمكان الملاحظة العامة أن تدركه، ومع ذلك فقد ذكرت هنا ليكون ما يحويه القرآن في هذا الموضوع وارداً على أكمل صورة ممكنة.(2)

وكل هذه الإشارات المتعلقة بتعاقب الله والنهار، وتعليق بوكاي على هذه الآيات بهذا الشكل الذي رأيناه آنفًا، يبدو لنا إعجابه بما ورد في القرآن من آيات يستحيل على عقل بشر أن يدركها، وأن تأتي بمثل هذه المعاني الدقيقة عن دوان الشمس حول الأرض، ودوران الأرض حول الشمس، ثم تعاقب الليل والنهار، ولا شك أن هذا إعجاز قرآني، لا يمكن أن يأتي به أحد غير الخالق سبحانه وتعالى.

تَطَوُّرُ عالَمِ السَّماءِ:

ذكر موريس بوكاي في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) في مسألة تطوُّر عالم السماء، أَنَّ الافكار الحديثة عن تكون الكون الذي تمَّ منذ الطبقة الغازية البدائية حتّى تكون المجرات والنجوم، والنظام الشمسي حتى ظهور الكواكب ابتداءً من الشمس في مرحلة معينة من تطورها، والمعطيات الحديثة تساعد على التفكير بأنَّ هذا التطوُّر يستمرُّ ويتتابع في النظام الشمسي وبشكلٍ أعمَّ في الكون (3).

ثم يعلق ويقول " وكيف لا ندنو بعد هذا من بعض المعلومات التي نجدها في القرآن في معرض بسط مظاهر القدرة الإلهيَّة المطلقة عندما ندرك هذه المفاهيم؟ ففي أكثر من مرة يذكر القرآن بأن الله هو الذي سخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى ونرى ذلك في قوله تعالى: {يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ} [سورة فاطر:13]، وقوله تعالى: {ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ } [سورة الرعد:2]، وقوله تعالى: {وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨} [سورة يس:38].

---

(1) بوكاي، المرجع السابق، ص 199.

(2) بوكاي، المرجع نفسه، ص 200.

(3) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 200.

لقد أثبت القرآن للشمس بأنَّها متطوِّرة باستمرار، وهي تتَّجه نحو الاستقرار ويحدد أيضًا للقمر وصفًا، ولا بد لكي ندرك ما تعنيه هذه المعلومات من استعراض المعارف الحديثة عن تطور النجوم على العموم، والشمس على الخصوص، وعلى سبيل الاستنتاج من خلال التشكيلات السماوية التي تتبع حركتها في الفضاء والتي يمثل القمر جزءًا منها.

وحيث إنَّ الشمس نجم، وقد قدَّر العلماء عمره ما يقرب من أربعة مليارات ونصف من السنين، وهو كجميع النجوم ذوات أوضاع متطورة، وأنها الآن في المرحلة الأولى من تحول ذرات الهيدروجين إلى ذرات هيليوم منذ خمسة مليارات ونصف من السنين طبقًا للحسابات الموضوعة التي تعطى في هذا الوضع الأول للنجم الذي من طراز الشمس، الذي عمره يقدر بعشرة مليارات من السنين، ملحق بهذا الوضع كما لوحظ بالنسبة لنجوم أخرى من نفس الطراز دورة ثانية لها هذا التحول من الهيدروجين إلى هيليوم وما يتبع ذلك من تمدد الطبقات وبرودة الشمس، وفي المرحلة النهائية تناقص قوة الاضاءة تناقصًا كبيرًا، وترتفع نسبة الكثافة، وهذا ما نلاحظه في طراز النجوم التي أطلق عليها اسم الأقزام البيض، والمفهوم من هذا المعنى هو ثبوت النجوم، وأن اتساع الكون هو الحدث الأعظم المكتشف من قبل العلم الحديث في الوقت الحاضر. (1)

اتساع الكون:

في نطاق اتّساع الكون ذكر موريس بوكاي قوله تعالى: {وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧} [سورة الذاريات:47]. و(موسعون) اسم فاعل بصيغة الجمع لفعل أوسع، ومعناه بالنسبة للأشياء أفسح، أمد، جعله رحبًا وفسيحة.

يرتبط هذا المعنى ارتباطًا وثيقًا بالمفهوم الحديث عن اتّساع الكون، وإنَّه لمفهوم مؤكد الثبوت، نتيجة للنظرية النسبية العامة التي أصبحت مستندًا طبيعيًا في اختبارات صورة المجرّات، والانتقال النظاميّ نحو احمرار صورتها يتَّضح بتباعد المجرّات بعضها عن بعض، وهكذا فإن فسحة الكون في امتداد واتساع مستمر، وأنَّ السرعات التي تنتقل بها الأجرام السماوية في هذا الاتساع يمكن أن تصل إلى رقم سرعة الضوء بل وإلى نسب أعلى منه. (2)

من خلال كل ما تقدم يتبين لنا مدى إعجاب واندهاش بوكاي لما وجده في القرآن الكريم من آيات ذات إشارات علمية معجزة، لاستحالة أن يأتي أي بشر بتلك الدقة من التفاصيل العلمية، التي لم يكن ليعرفها أحد، إلا مع الأجهزة العلميّة، والتي لم تُكتشف إلا في هذا العصر.

ومن كل تلك الإشارات العلمية التي أثبتها موريس بوكاي في القرآن الكريم من خلال كتبه التي ألفها، يبدو لنا بجلاء ما لدى الرجل من قدرة على استنباط ما في القرآن من إعجاز علمي، من خلال هذا الربط بين آيات القرآن ذات الإشارات العلمية، وبين ما توصلت إليه الحقائق العلمية، وهذا يدل بوضوح ما لدى بوكاي من شجاعة جعلته يثبت إعجاز القرآن الكريم، وفقًا لتلك الحقائق العلمية التي لم تُكتشف إلا في وقتنا الحاضر.

---

(1) بوكاي، موريس، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 201.

(2) بوكاي، المرجع السابق، ص 202.

التّوراةُ والإنجيلُ والقُرآنُ بِمَقاييسِ العِلْمِ الحَديثِ عِنْدَ بوكاي.

لكلِّ دين من الديانات الثلاثة كتابُهُ المُقَدَّس الذى يختصُّ به، وعليه يؤمن أتباعه، يهوديًّا كان أو مسيحيًّا أو مسلمًا، وكلّ مؤمن يعد كتابه وحيًا إلاهيًا، ولكن عندما تلح على الباحث فكرة المقارنة بين الأديان من خلال دراسة كتبها السماوية، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، ويطرح الباحث عدة قضايا وتساؤلات يحتاج إلى علم اليقين فيها، وبكل الحياد وبدون أي تعصب يطرح القضية ويختبرها في الكتب السماوية ويحتكم إلى ما وصل إليه العلم الحديث في كل فروعه، فتكون النتيجة أن بعض الكتب بها تناقضات بسبب ما طرأ عليها من تحريف، وبعضها يحتوي على معلومات لا تصمد أمام الحقائق العلمية، ويذكر بوكاي:

"لقد قمت في البداية بقراءة القرآن الكريم بموضوعية تامَّة ودون أي فكر مسبق، باحثًا عما جاء في القرآن ومقارنة ذلك بما أتى به العلم الحديث، واستطعت أنْ أحقَّق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، ويستطرد وبنفس الموضوعيَّة قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل، فقد وُجدت نصوص لا يمكن التوفيق فيما بينها، وذلك بخلاف التناقض بين الأناجيل واصطدامها بحقائق التاريخ". (1)

التوراةُ بمقياسِ العِلمِ الحَديثِ عند بوكاي.

نبذة عن التوراة (العهد القديم):

من هو مؤلَّف العهد القديم؟

يذكر موريس بوكاي في كتابه التوراة والإنجيل والقرآن "كم من قارئ للعهد القديم يُلْقَى عَلَيْهِ هذا السؤال، فلا يجد جوابًا إلا مردِّدًا ما قرأه في مدخل التوراة بأن مؤلف هذه الكتب المقدسة كلها هو الله، وأنَّ الذين كتبوها هم بشر من الذين أوحى الروح القدس إليهم، ويقتصر كاتب مقدمة التوراة على إعلام القارئ أحيانًا بواسطة هذا المفهوم الموجز الذي يقطع الطريق على التساؤل، بينما يضيف أحيانًا تصحيحًا، مفاده أنَّه يمكن أن تكون بعض التفصيلات قد زيدت من قبل البعض على النصِّ الأصليِّ، لكنَّ انصباب النزاع على مقطع ما، لا يخدش جوهر الحقيقة.(2)

ثم يعلِّق على ما قال في اتجاه إثباته بأن هذا الكتاب قد كتبه بشر، وليس كما يُدعى بأن جاء وحي من عند الله فيقول: "وهكذا يبدو إسهام الإنسان في نصِّ العهد القديم عظيمًا، وإنَّنا لنتحقَّق دونما عسر من نصٍّ إلى آخر، ومن ترجمة إلى أخرى، بأن النص الأصلي كان تحريفه ممكنًا خلال أكثر من ألفي سنة".

أَصْلُ التَّوراةِ:

يذكر موريس بوكاي كذلك عن أصل التوراة " أنَّ التوراة قبل أن تصبح مجموعة أسفار، كانت تقليدًا شعبيًا يرتل عفويًا من الذاكرة التي كانت في الأصل الوسيلة الوحيدة لتداول الأفكار، وفي

---

(1) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 20.

(2) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 22.

المرحلة البدائية يسبق النظم النثر، ولذلك كان الانشاد دأب كل شعب، في إسرائيل كما في غيره. وشعب إسرائيل مدفوع بظروف تاريخية أنشد فيها كثيرًا، وأجاد، في ذروة الحماس كما في ذروة اليأس، فأضفى لذلك على إنشاده تنوعا تعبيريًا"(1).

ثم يعقِّب على القول السابق بقوله "إنَّ العهد القديم مجموعة مؤلَّفات غير متساوية الطول، ومختلفة النَّوع، كتبت من خلال أكثر من تسعة قرون في لغات عدَّة أخذت بالسماع، وكثير من هذه المؤلفات صُححت ، تبعًا للأحداث أو للضرورات الخاصة، على مدى أجيال، متباعدة أحيانًا بعضها عن بعض، وهكذا ظهر العهد القديم كصرح الأدب الشعب اليهودي من أصوله حتى العصر المسيحي، وقد حررت الأجزاء التي يتألف منها، وتمت وروجعت فيما بين القرنين العاشر والأول قبل المسيح، وليست هذه وجهة نظر شخصية ندلي بها هنا عن تأريخ تحريرها، بل لقد أخذت معطياتها التاريخية الأساسيَّة من فصل التوراة (المكتوب لدائرة المعارف العالمية) من قبل (سندروز) وهو أستاذ في جامعة الدومينيكان في سولشوار، ولا بد لكي نفهم ما هو العهد القديم، من أن نتذكر هذه المعلومات المثبتة تمامًا في أيامنا هذه من اختصاصيين ذوي خبرة رفيعة، فقد اختلط الوحي بكل هذه الكتابات، ولا يُعرف اليوم إلا ما تركه الذين عالجوا نصوصه حسب هواهم ووفقًا للظروف التي وجدوا فيها والضرورات التي واجهوها". (2)

من خلال هذه التَّعليقات التي أفردها موريس بوكاي على العهد القديم يريد أَنْ يثبت في نهاية المطاف أنه لم يُكتب وفق الأصول المنهجية الصحيحة، ومشكوك في صحَّته، كونه قد كُتِبَ عبر العديد من الأزمان، ولم يكن تسجيله في زمني موسى عليهم السلام.

تأمُّلاتٌ في العَهدِ القديم في ضَوءِ العِلمِ الحَديثِ:

في نطاق معطيات العلم الحديث مع ما جاء به العهد القديم، يذكر بوكاي: " في العهد القديم كما في الإنجيل قليل من الموضوعات تفسح المجال للمجابهة مع معطيات المعارف المعاصرة، ولكن عندما يتناقض النصُّ التوراتيُّ مع العلم، فإنَّ ذلك يكون بالنسبة إلى مسائل مهمَّة، وفي السياق التاريخيِّ، هناك الكثير من النصوص الزائدة من بعض الشراح اليهود والمسيحيين، ولهؤلاء ميل طبيعي للتصغير من قيمة ما يكتبونه، لأنَّه من الطبيعيِّ في رأيهم أن يقدم الكاتب الديني الوقائع التاريخية". (3)

وبصدد إنكار موريس بوكاي على العهد القديم باستحالة توافق كثير مما جاء به من إشارات تاريخيَّة أو علمية مع ما أثبته العلم الحديثاليوم من حقائق، فيقول " إن مثل هذ هذه التصرفات المتحررة مع الحقيقة، والتعليقات نفسها، هادفة إلى أن تجعل صحيحًا ما هو باطل، ولا يمكن أن يرضى عن هذه الطريقة في التصرف أي فكر منطقي مجرد ولذلك فإنه يمكننا من زاوية المنطق استخراج عدد مهم من التناقضات والمستحيلات من التَّوراة، ووجود المصادر المختلفة التي

---

(1) بوكاي، المرجع السابق، ص 22.

(2) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 23.

(3) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 43.

ساهمت في صنع الخبر، يمكن أن يكون في أصل الرواية للواقعة الواحدة في صورتين، كما توجد زيادات كذلك على تلك التحريفات المختلفة، والزيادات الملحقة بالنصّ نفسه، كالشروح المضافة فيما بعد، ثم المدرجة أيضا في الرواية بمناسبة إصدار نسخة جديدة، كل هذا معروف جيدًا من الاختصاصيّين في نقد النصّ، ومشار إليه من بعضهم بأمانة".(1)

ثم يُعطي موريس بوكاي مثال على رأيه في عدم انتماء العهد القديم إلى الوحي الإلهي، لكنه منقول من بعض الكُتاب على مر التاريخ بقوله "وقد فصل الأب (دوفو) في المدخل على ترجمته لسفر التكوين، بالنسبة للأسفار الخمسة فقط، (صفحة 13، 14) الحديث عن عدد ضخم من التناقضات التي لا خير في إيرادها هنا، والتي منها على سبيل المثال: (2)

" يعزم الله كما في سفر التكوين، قبل الطوفان تمامًا، بأن يحدد منذ ذلك الزمن عمر الإنسان حتى 120 سنة (عمره لن يكون إلا مئة وعشرين سنة) كما هو مكتوب، ثم يرد بعد ذلك في سفر التكوين أيضًا (11 – 10 – 32) طول عمر الواحد من العشرة المنحدرين من نوح يتراوح بين (400– 600) عامًا، فإن هذا التناقض الجلي بين هذين النصين بسيط، لأن النص الأول من سفر التكوين (3 ، 6) نصّ يهوي يعود دونما شك كما سبق ورأينا إلى القرن العاشر قبل المسيح، بينما النص الثاني من سفر التكوين (11 – 10 – 32) نص أكثر حداثة (القرن السادس قبل المسيح) هو من الرواية الكهنوتية التي هي أصل هذه الأنساب التي هي إلى الدقة عند السرد لمدد الأعمار بمثل ما هي عليه من الاستحالة عندما نأخذها جملة واحدة".(3)

ومن خلال ما جاء بالنص السابق فأقول: إنَّ هذا التناقض الجلي بين كلا النصين والمتعلق بحادثة واحدة وهي عمر الإنسان الذي لن يكون أكثر من 120 عام، ثم يذكر بعد ذلك عن أعمال أبناء نوح بأنَّهم كانوا أكثر من هذا العمر، فكيف بكتاب يفترض أنه جاء وحي من الله – تعالى الله على ذلك – أن يحمل مثل هذه التناقضات الظاهرة.

مثالٌ آخَرُ على مِثْلِ هذِهِ التَّناقُضاتِ في حادِثِ الطُّوفانِ:

يذكر موريس بوكاي حداثة الطوفان فيقول " قد خُصصت الفصول 1، 7، 8 من سفر التكوين لرواية الطوفان، وبصورة أدق لروايتي الطوفان، وأن تلك الروايات متفرقة في مقاطع متداخلة بعضها مع بعض، وفي هذه الفصول الثلاثة تناقضات واضحة يمكن تفسيرها بأنها ناتجة عن

---

(1) بوكاي، المرجع السابق، ص 43.

(2) بوكاي، المرجع نفسه، ص 44.

(3) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 44.

وجود مصدرين متمايزين، المصدر اليهوي، والمصدر الكهنوتي،(1) وأنهما يشكلان خليطًا متناثرة داخل الفصول، والرواية في مجملها هي ما يلي"(2):

"لما كان فساد الناس قد عم، فقد عزم الله على افنائهم مع جميع الخلائق الأخرى، فأخبر نوح (عليه السلام) وأمره بأن يصنع فلكًا، وأن يحمل فيه زوجته وأولاده الثلاثة مع زوجاتهم الثلاث وغيرهم من المخلوقات الحية الأخرى، والمصدران يختلفان بالنسبة إلى هذه الأواخر، فبينما يشير في مقطع من الرواية (هو من أصل كهنوتيٍّ) أنَّ نوحًا (عليه السلام) قد أخذ معه زوجًا من كل نوع، يثبت في مقطع آخر (من أصل يهوي) أنَّ الله أمره بأن يحمل معه من الحيوانات الطاهرة فقط سبعة من كل نوع ذكر وأنثى، ومن الحيوانات النجسة زوجة واحدة، ولكن بعد ذلك بقليل يثبت أن نوحا (عليه السلام) لم يدخل معه في الفلك إلا زوجة واحدة من كل واحد من الحيوانات، والاختصاصيُّون مثل الأب (دوفو)يؤكدون بأن المعني هو مقطع من الرواية اليهويَّة المحرفة".(3)

"ثم إنَّ فقرة (من مصدر يهوي) تذكر أنَّ عامل الطوفان كان ماء المطر، ولكن فقرة أخرى (من أصل كهنوتي) تُظهر أن سببه ماء المطر وينابيع الأرض معًا". (4)

ثم أضاف موريس بوكاي "قد غمرت المياه الأرض كلها حتى أصابت ذرى الجبال، وانعدمت بها كل حياة، وبعد أن غيض الماء خرج نوح بعد سنة من فلكه التي استوت على جبل أرارات".(5)

وأن الطوفان، بحسب المصادر، كان ذا فترات مختلفة، هي أربعون يومًا حتى غاض الماء بحسب الرواية اليهوية، ومئة وخمسون يومًا بحسب الرواية الكهنوتية. (6)

هذا وإنَّ الرواية اليهودية لا تحدَّد الوقت الذي جرى فيه هذا الحادث في حياة نوح، ولكنَّ الرواية الكهنوتية تذكر بأنه وقع، ولنوح عليه السلام من العمر ستمائة سنة، وهذه الرواية بالذات توحي ببعض الملاحظات المتعلقة بالنسبة إلى آدم وإبراهيم عليهما السلام، فلما كان نوح عليه السلام قد ولد بحسب الحسابات في إفادات سفر التكوين بعد 1054 سنة من آدم، كما في لائحة أجداد

---

(1) بوكاي، المرجع السابق، ص 44. يُقصد بمصدر كهنوتيّ، أي مصدر جاء من رجال الدين، والكهنوت هي أحد الرتب الدينية لدي اليهود والنصارى.

(2) بوكاي، المرجع نفسه، ص 44-45.

(3) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 57.

(4) لقد ذكر القرآن الكريم العامل الأساسي الذي حقق الطوفان، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ، فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[القمر: 9- 12].

(5) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 58

(6) بوكاي، المرجع السابق، ص 58.

إبراهيم، فيكون الطوفان قد حصل بعد 1656 سنة من خلق آدم، هذا وإن سفر التكوين يذكر بأن الطوفان قد حصل قبل 292 سنة من ولادة إبراهيم (عليه السلام). (1)

هذا وقد أصاب الطوفان وفق ما هو وارد في سفر التكوين، كل النوع البشري، وأعدم جميع الكائنات الحية التي خلقها الله على الأرض، ثم أعيد بناء الإنسانية من أبناء نوح (عليه السلام) الثلاثة ونسائهم، بحيث أنه لما ولد إبراهيم عليه السلام بعد ثلاثة قرون تقريبًا وجد الانسانية وقد تشكلت في مجتمعات، فكيف أمكن في قليل من الزمن حصول هذا التجدد للبناء الإنساني.

من هذه الملاحظة البسيطة يذكر موريس بوكاي أنَّ مثل هذه الرواية" تنزع عنها كل سمة من سمات الحقّ". (2)

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن المعطيات التاريخية تبرهن على تناقضها مع المعارف الحديثة، فهي تضع إبراهيم (عليه السلام) فيما بين سنة 1800 و1850 قبل المسيح (عليه السلام)، وإذا كان الطوفان كما يشير سفر التكوين في انسابه، يقع قبل ثلاثة قرون تقريبًا من إبراهيم (عليه السلام)، فينبغي أنْ يقع في القرن الواحد والعشرين أو الثاني والعشرين قبل المسيح، وهذا الزمن (الذي تسمح المعارف العلميَّة بتأكيده)، حيث ازدهرت فيه عدد من المناطق على الأرض مدنيات، وقد انتقلت آثارها إلى الأجيال اللاحقة. (3)

وعلى هذا فإنه لا يمكن اعتبار روايات التوراة سارده للوقائع مطابقة للحقيقة، لأننا إذا كنا موضوعيين، فلا ينبغي أن نسلم بتلك المغالطات التاريخية، كما أنه لا يمكن أن يكون الله قد أوصى في وحيه بشيء غير الحقيقة.

والذي يمكن تفسيره من تلك الروايات أن هناك تشويه قد حدث في تلك الروايات، وأنَّ تلك المغالطات قد نُقلت من جيل إلى آخر. انتهى كلام موريس بوكاي.

من خلال تلك الروايات السابقة التي سردها موريس بوكاي حول حادثة الطوفان التي أراد منها الاستدلال بأن هناك العديد من المغالطات التاريخية الفجَّة والتي لا تعبر عن حقيقة هامة وهي أن تلك النصوص لا يمكن أن تكون قد جاءت من الوحي الإلهي، وإنما تعبر في الحقيقة عن مصدر بشري قد قام بتأليف هذه النصوص وسردها، كما يمكنني القول بأن من أراد كتابه هذه الرويات – وهي بشرية اللَّفظ والمعنى –إنَّما أراد في الحقيقة تشويه هذه النصوص لأنَّه لو كان حسن النية ما جاء بهذه المغالطات الواضحة لكي يأتي من بعده ويطعن في صحة هذه النصوص، ومن ثم عدم الإيمان بها.

الإنجيلُ بمقياسٍ العلم الحديث عند بوكاي.

أما من حيث الانجيل، فإن موريس بوكاي يعلق عليه من حيث تضارب القصص والروايات بين مختلف الأناجيل المعتمدة لدى النصارى، حيث يقول: " يحتار كثير من قراء الانجيل، بل

---

(1) بوكاي، المرجع نفسه، ص 69.

(2) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 58.

(3) بوكاي، المرجع السابق، ص 58.

ويقلقون عندما يتأملون معنى بعض القصص، أو عندما يقارنون بين مختلف الروايات للحادث الواحد الذي يجدونه في عدد من الاناجيل، وهو ما لاحظه الاب (روغيه) في كتابه (مدخل إلى الانجيل) الذي استطاع فيه أن يقيس لدى مراسليه أهمية القلق المثار من تلاميذهم بحكم تجربته الكبرى التي أفادته خلال شغله مدى سنين طويلة، مكلفًا بالإجابة في مجلة أسبوعية كاثوليكية على قراء الانجيل، هؤلاء الذين اقلقتهم النصوص، لقد لاحظ أن طلبات الاستيضاح من محاوريه الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية وثقافية مغايرة جدًا تنصب على نصوص غامضة، وغير مفهومة، بل متضادة ومستحيلة ومضطربة، فما من شك إذن أن قراءة النصوص الكاملة للأناجيل قابلة بأن تحدث لدى المسيحيين اضطرابًا عميقًا".(1)

مثل هذه الملاحظة كانت لها أهميتها، والتي نشر فيها كتاب الأب (روغيه) في سنة 1973م، حيثكانت غالبية المسيحيين لا تعرف من الاناجيل سوى مختارات تقرأ عند الصلوات، أو مشروحة عند الوعظ، وباستثناء حالة البروتستانت الخاصة، لم تكن قراءة الاناجيل في جملتها خارج هذه المناسبات أمرًا متداولًا، ولم تكن كتب التعليم الديني تحوي منها إلا مقتطفات، والنص الكامل لم يكن متداولًا أبدًا، ثم يذكر بوكاي أثناء دراسته الثانوية في معهد كاثوليكي، بأنه لم يوضع بين يديه مجموعة كتب إلا لـ (فيرجيل، وأفلاطون)، ولم يقدِّم له المعهد العهد الجديد، على الرغم من أهميته، ثم يذكر بأنه قد أدرك بعد وقت متأخر، أنه لم يتم ترجمة النص الأصلي من اليونانية، حيث أن ذلك سوف يفتح على الأساتذة في هذا المعهد العديد من الأسئلة المحيرة، والتي لم يوجد لها إجابة. (2)

فيما يتعلّق بمسألة صعود عيسى (عليه السلام) على سبيل المثال، يذكر موريس بوكاي اختلافات بعض الاناجيل وتناقضاتها المتصلة بوقت صعوده، فكل من متى ويوحنا، لم يتكلما عن صعود المسيح، أما لوقا فإنه يحدد زمنه في انجيله بأنه يوم البعث من الموت، بينما يذكر مرقس (دون تثبيت تاريخه) في ختام إنجيله، فليس للصعود إذًا أصل ثابت في الكتابات المقدسة، ومع ذلك فإن الشراح يتناولون هذه المسألة الهامة باستهتار مذهل. (3)

من تلك التعليقات التي أوردها موريس بوكاي بشأن صعود عيسى (عليه السلام) واختلاف الأناجيل فيما بينهم بل وتناقضها، يوحي ذلك بإن ثمة تدخل بشري في كتابة هذه النصوص، ولم تكن صادرة عن وحي من الله –سبحانه وتعالى–، كما يدعي علماء النصارى بذلك.

مصادر الأناجيل الأربعة:

يشير موريس بوكاي فيما يتعلق بتاريخية هذه الأناجيل المعروف (متي ولوقا ويوحنا ومرقص) الآن بين أيدينا، بأنه لم تكن موجودة في الكتابات المسيحية في الأزمان الأولى بعد صعود عيسى (عليه السلام)، إلا ما يُسمى بأعمال بولس، وقد بدأت الشهادات المتصلة بمجموعة من

(1) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 66.

(2) بوكاي، المرجع السابق، ص 66.

(3) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 66.

الكتابات الانجيلية في الظهور بعد عام 140م، حيث أفادت تلك الرسائل بأن هناك عدد ضخم من الرسائل التي تُدعى باسم (الرسائل البوليسية).

إنَّ الأناجيل التي أصبحت فيما بعد رسمية – أي معترف بها – قد عُرفت في وقت متأخِّر جدًّا، على الرغم أن كتابتها قد تم الانتهاء منها في مطلع القرن الثاني، وقد بدأت بحسب الترجمة المسكونية بذكر القصص التي تخصها حوالي منتصف القرن الثاني، ولكن من الصعب بصورة عامة ما إذا كانت الافادات في هذه الأقاصيص مبنية على نصوص مكتوبة كان الكُتَّاب يشاهدونها، أو أنهم اكتفوا بأن يسترجعوا من الذاكرة بقايا من الرواية الشفوية.

على كل حال، فإنَّه لم يوجد قبل سنة 140 كما في شروح ترجمة التوراة أيَّة شهادة يمكن معها معرفة مجموعة كتابات انجيلية، ويتناقض هذا التأكيد مع ما كتبه (أ. تريكو) سنة 1960 في شروح ترجمته للعهد الجديد حيث يقول: " لقد كان العمل في زمن مبكر، وفي مطلع القرن الثاني، يتركز على ذكر الانجيل للدلالة على الرسالات التي كان القديس جيستان نحو سنة 150 يسميها أيضًا "مذكرات الرسل" وتأكيدات من هذا النوع، وهي الآن منتشرة بشكل يكفي أن تكون معلومات الجمهور الكبير عن تاريخ مجموعة الاناجيل خاطئة.

لقد ظلَّت الأناجيل تُشكّل طَوالَ أكثر من قرن، بعد نهاية رسالة المسيح، وليس في وقت سابق، والترجمة المسكونية للتوراة تُحدِّدُ الوقت الذي منحت فيه الاناجيل الأربعة سمة النص القانوني بأنه في حوالي سنة 170م. (1) انتهى كلام موريس بوكاي.

من خلال تلك التعليقات التي أوردها موريس بوكاي عن تاريخية كتابة الأناجيل وأنَّها كانت عند كتابتها بعيدة عن حياة المسيح وصعوده إلى السماء بنحو مائة وخمسون سنة أو قرنين من الزمان، فإنَّه يريد أن يدلل باستحالة نسبتها إلى الوحي الإلهي لبعد الفترة الزمينة عند كتابتها من جهة، وكثرة التناقضات بها من جهة أخرى.

الأناجيل والعلم الحديث:

يذكر موريس بوكاي فيما يخص الأناجيل والعلم الحديث بأنَّ هناك في الأناجيل مقاطع قليلة، والتي يمكن أن تتعلق بمعطيات العلوم الحديثة، ثم يقول بعد ذلك " أنَّ كثيرًا من أخبارها التي تهمُّ الناس، الخاصة بالمعجزات، لا يمكن أنْ تكون ذات تفسير علمي، مثل (شفاء المرضى، أو صرعى الجنون، أو العمي، أو البرص، أو قيامة العازار) والعجائب المادية الخارقة لقانون الطبيعة، كسير المسيح على الماء، وتحويل الماء خمرة، وقد تكون الظاهرة الطبيعية في صورة غير معتادة، لوقوعها في وقت قصير جدًا، كهدوء العاصفة المفاجئ، أو الصيد العجيب.(2)

كل هذه الأحداث، يتدخل الله بقدرته، فلا ندهش مما هو جدير بفعله مما يبدو للناس معجزات، ولا تعني هذه الاعتبارات أبداً أنه ليس للمؤمن أن يهتم بالعلم، فالإيمان بالمعجزة الإلهية،

---

(1) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 68.

(2) بوكاي، المرجع السابق، ص 107.

والإيمان بالعلم يتفقان تمامًا وإن كان الأول على المستوى الرباني، والثاني على المستوى الإنساني.

وفيما يتعلق بهذه المعجزات يقول موريس بوكاي " وإنّي شخصيًّا أُؤمن عن طيب خاطر، بأن المسيح شفى الأبرص، إلا أنَّي لا يمكنني أن أقبل بأن يقال، بأن الله قد أوحى بنص، اقرأ فيه: أن عشرين جيلًا قد مضى فقط بين أول إنسان وابراهيم كما يقول لوقا في إنجيله [3 – 23، 28]". (1) انتهى كلام موريس بوكاي.

خلال تعليقات موريس بوكاي حول الأحداث التاريخية التي تذكرها الأناجيل، واستحالة تصديقها لاسيما الفترة الزمينة بين آدم عليه السلام وميلاد نبي الله إبراهيم عليه السلام والتي قدرتها الأناجيل بنحو عشرين قرنًا تقريبا –إنْ جاز لنا التقدير بذلك – أي بنحو (2000) سنة وهذا محال من الناحية التاريخية والمنطقية على أقل تقدير، وهذا الكلام يُشكك في مصدر من كتب هذه الأناجيل، وأنها لم تكن وحيًا إلهيًا بطبيعة الحال.

القرآنُ بِمقياسِ العِلمِ الحَديثِ عِنْدَ بوكاي

بعد أن عرفنا موقف موريس بوكاي من العهد القديم (التوراة)، والعهد الجديد (الانجيل)، من حيث علاقتهما بالعلم الحديث، وما يتصل بهما من تناقضات واختلافات كبيرة ذات اتصال بنشأة الإنسان أو الكون، أو فيما يتعلق بمنطقية ميلاد إبراهيم أو عيسى، واستحالة بعض المعلومات التي عرضتها تلك الكتب، نأتي في هذا المبحث لنعرف موقف موريس بوكاي من علاقة القرآن الكريم بالعلم الحديث.

يذكر موريس بوكاي في بداية حديثة عن القرآن الكريم وتصديقالعلم الحديث لجميع ما جاء به حيث يقول " مثل هذا اللقاء بين القرآن والعلم مدهش حقًا، وبخاصة عندما سيكون إلى التوافق أقرب منه إلى الاختلاف"(2) وهذا الأمر من وجهة نظره شيء غريب مقارنةً بما وجده في الأديان الذي كان يعتقد صحتها، إذ يجد كل ما فيها من اختلافات وتناقضات مما جعله يشك في كل الأديان، فنجده يتناول الحديث عن القرآن الكريم بنظرة موضوعية لا يرى أيا من هذه الاختلافات بين ما جاء في القرآن الكريم، وبين ما أثبته العلم الحديث، حيث يعلق في هذه المسألة، فيقول " أليس غريبًا في هذا العصر مواجهة كتاب دين باعتبارات دنيوية يدعيها العلم في نظر الكثيرين ؟ الواقع أن العلميات ما عدا بعض الاستثناءات بالطبع، لا تهتم غالبًا بالمسائل الدينية، بل تزدريها لأنها تعتبرها مرتكزة على الاساطير، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يراد بالدين، عندما يتكلم في بلادنا الغربية عن الدين والعلم، اليهودية والمسيحية فحسب، دون أنْ يكون للإسلام فيه نصيب، لأنه قد حكم عليه بكثير من الأحكام المفتراة المستندة إلى مفاهيم مضللة، يصعب معها في أيامنا تكوين فكرة صحيحة عما هو حقيقة".(3)

(1) بوكاي، المرجع نفسه، ص 107.

(2) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 139.

(3) بوكاي، المرجع السابق، ص 121.

وهنا يذكر موريس بوكاي الحكم على ما جاء في كل من التوراة والإنجيل من أحاديث تناقض العلم الحديث، لذا فالدين لدي الغربيين يشبه الأساطير منه إلى الحقيقة، ولذا القليل منهم مؤمن بما جاء في هاتين الديانتين والغالب الأعم قد تركهما بالكلية، أمَّا الحديث عن الإسلام فلم يكن محل نقاش بشأنه لأن صورته مشوهة أصلًا لدي العقلية الغربية بسبب المغالطات التي قِيلت بحقه من قبل بعض المستشرقين ورجال الكنيسة والإعلام على حدٍ سواء(1).

أحد المسائل العلمية التي تناولها القرآن وأيدها العلم الحديث:

مسألة غزو الفضاء:

في مسألة غزو الفضاء يذكر موريس بوكاي بأنه يوجد في القرآن ما يثير انتباه الفرد فيما يتعلق بإمكانية غزو الخلق للفضاء سواء من الجن أو الإنس، حيث يقول" في القرآن ثلاثة آيات تستحق أن تجتذب كل الانتباه من وجهة النظر هذه، تذكر أحداها دونما لبس ما يمكن أن يفعله الناس في هذا المضمار وسيفعلونه، أما الآيتان فيذكر الله فيهما لكفار مكة الدهشة التي ستصيبهم إذا عرجوا في السماء مشيرة بهذا إلى فرضية يستحيل عليهم تحقيقها"(2)، الآية الأولى، كما في قوله تعالى: {يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣} [سورة الرحمن:33]،ثم يعلق بأن الترجمة المقدمة هنا تتطلب بعض التوضيحات: (3)

أنَّ كلمة إنْ تعبر عن معنى الشرط الذي يتعلق بالإمكانية وبافتراض قابل للتحقيق، واللغة العربية جديرة بأنْ تعطي الشرط معني أكثر رحابة ووضوحًا، إذ أن هناك كلمة للتعبير عن الشك وهي: (إذا) وأخرى للتعبير عن الافتراض القابل للتحقيق وهي (إن) وثالثة لإدخال الافتراض غير القابل للتحقيق وهي (لو)، والآية المتناولة هنا، تدل على أن المراد منها افتراض قابل للتحقيق معبر عنه بحرف الشرط (إن) والقرآن ذكر هنا إذًا الإمكانية المادية للتحقيق المحسوس.

خاطب الله الجن والإنس ولا يخاطب صورة رمزية أساسًا.

يبدو أن السلطان الذي يملكه الناس ليحققوا هذه الخطوة مستمد من القادر على كل شيء.

إنَّ هذه الآية تشير إلى الإمكانية التي سيحقق بها الناس ما نسميه في عصرنا على سبيل التجاوز (غزو الفضاء)، وينبغي التنبيه إلى أن النص القرآني لا يتعرض فقط إلى النفاذ من أقطار السماوات فقط، بل من أقطار الأرض كذلك، وهذا يعني التنبؤ بالمستقبل. (4)

أما الآيتان الأخريان في السورة: {وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥} [سورة الحجر:14-15]، فيتحدث الله فيهما

---

(1) هناك عديد من المستشرقين المتعصبين الذين أسهموا في تشوية الإسلام من أبرزهم المستشرق شاخت، ورجل الدين بطرس المبجل صاحب اول ترجمة للقرآن محرفة بغرض تشوية الإسلام.

(2) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 203.

(3) بوكاي، المرجع السابق، ص 204.

(4) بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص 139.

عن الكفار، إنه تعبير عن الاندهاش أمام مشهد غير منتظر مخالف لما كان يمكن للإنسان أن يتصوره، لقد بدأت الجملة الشرطية هنا بحرف (لو) الذي يفترض معه استحالة تحقيق المطلوب من المخاطبين.(1)

لذلك فإننا نجد أنفسنا إذا بمناسبة غزو الفضاء، أمام فقرتين من القرآن، تشير أحداهما لما سيتحقق يومًا ما بفضل القوى – سبحانه وتعالى – الذي سيمنح الذكاء والبراعة للإنسان، وتذكر الآية الأخرى حدثًا لن يراه كفار مكة، لأن مفهوم الشرط هنا عدم تحققه قريبًا، وإن كان سيراه آخرون كما تسوغ الآية الأولى افتراضه، وتصف ردود الفعل الانسانية أمام المشهد المفاجئ الذي سيواجه المسافرين في الفضاء، أبصار مضطربة مسكرة، وشعور بأنهم مسحورون.

لقد شاهد تلك اللحظات المدهشة رواد الفضاء منذ عام 1961 تاريخ أول طيران حول الأرض، والواقع أننا نعرف أن السماء تبدو للمراقب في الفضاء خارج جو الارض سوداء، لا بصورتها الزرقاء الظاهرة لسكان الأرض التي هي نتيجة عمليات امتصاص لضوء الشمس من طبقات الجو، أما الأرض فتبدو ملفوفة بهالة من اللون المشرب بالزرقة ناتج أيضًا عن نفس عمليات الامتصاص للضوء من الفضاء الأرضي، حيث يبدو القمر الذي ليس له فضاء خاص به بألوانه الخاصة في العمق الاسود للسماء، أنه مشهد جديد بالنسبة للإنسان، هذا الذي يتجلى الله في الفضاء، مشهد صارت صوره القديمة وكيف لا نجد أنفسنا هنا أيضًا عند مقابلة نص القرآن مع المنجزات الحديثة متأثرين بهذه التحقيقات التي لا يمكننا أن نفترض ظهورها من فكر إنسان عاش بالنسبة لأُناس هذا العصر صورة كلاسيكية منذ أربعة عشر قرنًا(2)، انتهى كلام موريس بوكاي.

من خلال ما قاله (موريس بوكاي) من تفسير لبعض آيات القرآن من إمكانية غزو الفضاء من قبل الإنسان مع عدم تصور العقلية العربية التي سمعت هذا الكلام لأوَّل وهله، إلا أنَّ هذا الأمر قد حدث بالفعل بعد عدَّة قرون، وهذا يدلُّ على صدق هذا القرآن وأنَّه متوافق تمامًا مع ما جاء به العلم الحديث من حقائق.

---

(1) بوكاي، المرجع السابق، ص 204.

(2) بوكاي، المرجع نفسه، ص 205.

الخاتمة

إنَّ المسلم في قرارة نفسه يعلم أنَّ القرآن الكريم وحيٌ من عند الله عزَّ وجلَّ، والشواهد كثيرة على ذلك سواء في جانبه الإعجازي والبلاغي والتاريخي أو وتأثيره على المخاطبين وصلاحيته لكل مكان وزمان،وما منح هذا التأثير لدى أمة كانت غائبة عن العلوم والحضارة، فصارت بهذا القرآن أمة حكمت العالم بمفردها عدة قرون، ثم انحدرت بعدما تركت هذا الكتاب إلى مناهج وأفكار شتى أدت بهاإلى أنتكون في ذيل الأمم، ومن الغريب أن الذي يدعوا إلى الرجوع إلى هذا الكتاب العزيز هم من علماء الغرب، بعد أن وجدوا في هذا الكتاب، الأدلة الساطعة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من آيات بينات تتعلق بأمور الكون والحياة والعلم والانسان والمعرفة إلا في هذه الأيام الذي بدا فيه التقدم التكنولوجي ذروته، واستطاع أنْ يكتشف الكون ويثبت ما جاء به القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرن، ومن هؤلاء العلماء الذي هداهم الله إلى هذه الاكتشافات هو (موريس بوكاي) الذي كان موضوع بحثي ودراستي ، كونه استطاع من خلال مقارنته للقرآن الكريم بما جاءت به العلوم الحديثة، من صدق هذا الكتاب وسط عالم لا يقدر إلا العلم المادي، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج مهمة :

هناك من علماء الغرب من يتسمون بالموضوعية والحيادية، ومن الممكن إذا ما تعرفوا على ما في القرآن الكريم أو السنَّة النبويَّة الصَّحيحة من إعجاز، أن يدخل قلوبهم هذا الدين –وموريس بوكاي خير دليل على ذلك –وهذا يشير إلى أهمية الكشف والدراسة حول قضايا الإعجاز العلمي في القرآن، والسنة النبوية، لأن العلم هو اللغة الذي يفهما هؤلاء العلماء اليوم.

أنَّ التوراة والانجيل تشوبهما الكثير من المغالطات المنهجية والعلمية والتحريف، والتي دعت العالم الغربي إلى هجران هذين الكتابين، إلى القرآن الكريم والإسلام، وهذا ما يفسر إسلام الكثير من علماء الغرب هذه الأيّام وذلك لقوة الحجة العلمية والمعرفية والمنطقية والواقعية في القرآن الكريم.

أنَّ القرآن الكريم زاخر بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكثير من الحقائق العلميّة في النفس والكون والحياة، لذا ينبغي على المسلمين أن يقدموا هذا الكتاب بمنهج جديد يفهمه أبناء هذا العصر من الناحيّة العلميَّة والمنطقيَّة، بالإضافة إلى أسلوبه الفريد.

أنَّ موريس بوكاي لم يستطع توفيق العلاقة بين التوراة والانجيل والعلم الحديث، إلا أنه استطاع أن يجد هذا التوفيق بين القرآن الكريم والعلم الحديث من خلال دراسته بشكل موضوعيٍّ ومنهجيٍّ كما ذكر ذلك هو بنفسه.

أنَّ العلماء والفلاسفة على مر التاريخ في صدام دائم مع النصوص الدينية المتعلقة بنصوص التوراة والانجيل، لاختلافهما بشكل بيّن عن مقتضيات العلوم الإنسانية، إلا أن هذا التصادم غير موجود في القرآن، كون هذا القرآن نفسه يدعو إلى التفكر والتأمل في الحياة والنفس والكون، ولم يستطع عالمٌ من العلماء على مر التاريخ منذ ظهور القرآن الكريم حتى يومنا هذا أن يجد أي تصادم بين حقيقة علمية ثابتة وبين ما جاء به القرآن.

يجب التنبه إلى التفرقة بين الحقائق العلمية الثابتة، وبين النظريات أو الفرضيات التي لم تثبُت بعد، حتى لا يقع المسلمون في أخطاء عندما تحدث المقارنة بين آية قرآنية، وبين نظرية علمية لم تثبُت بعد.

توصيات الدراسة:تُوصي الدِّراسة بما يلي:

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي أرسلها الله عزَّ وجلَّ، لذا ينبغي على الدعاة الاعتماد عليه في الدعوة إليه سبحانه وتعالى، لغير المسلمين، لكل فرد بما يناسبه، فهو وسيلة فعالة لاسيما في جانبه العلمي والاعجازي، لما تضمنه من إشارات وحقائق علمية ثبتت صحتها عبر الأيام.

تُوصي الدراسة بالتواصل المستمر مع العلماء من غير المسلمين، ومخاطبتهم باللغة التي يفهمونها وهي لغة العلم، من خلال طرح القضايا العلمية عليهم، وتغيير المفاهيم المشوهة لديهم عن الإسلام.

عقد المؤتمرات والندوات الدولية التي تتناول قضايا الإعجاز العلمي في القرآن ودعوة العلماء الغربيين المتخصصين في المجالات المختلفة وتعريفهم بما جاء في الإسلام من حقائق علمية في مجال تخصصهم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم.

بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد، ط3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1411=1990م.

بوكاي، موريس، ترجمة: فوزي شعبان، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، المكتبة العلمية.

المراجع

أبي حامد محمَّد بن محمَّد، إحياء علوم الدين، (450هـ –505هـ)، بيروت، دار الفكر.

أحمد، يوسف الحاج، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية، مكتبة ابن حجر، دمشق، 2003.

الاصفهاني، الراغب، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مفردات ألفاظ القرآن، ط4، دمشق.

الألباني، محمد بن ناصر، صحيح الجامع، ط3، (بيروت، المكتب الإسلامي، 1408هـ.

ابن فارس، أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، معجم مقاييس اللغة، دمشق، دار الفكر.

الألباني، محمد بن ناصر، صحيح سنن أبي داود، ط1، الرياض، مكتبة المعارف للنشر.

الألباني، محمد بن ناصر، صحيح سنن أبي داود، ط1، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محب الدين الخطيب، صحيح البخاري، ط1، القاهرة.

الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، عَمّان، دار عمار، 1409هـ.

خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة، دمشق، دار ابن كثير للنشر والتوزيع.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط3، بيروت.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط14، الرياض، 1426هـ.

ريتشارد إي. روبنشتاين، ترجمه للعربية، رضا زيدان، دار أدب للنشر والتوزيع بالسعودية، 2019.

الزنداني، عبد المجيد، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بيروت، المكتبة العصرية.

الزيادي، محمد فتح الله، الاستشراق أهداف ووسائله، ط3، دمشق، مؤسسة المعاصرة ومستقبل الثقافة، 2011.

سقا، مرهف، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن ضوابط وتطبيقات، ط1، دمشق، دار محمد الأمين للطباعة والنشر، 1431هـ.

الشرقاوي، محمد عبد الله، موريس بوكاي، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، 2021.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، تفسير أضواء البيان، ط1، الرياض، دار الفضيلة، 1426هـ = 2005م.

الطيار، مساعد، الإعجاز العلمي إلى أين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

عبد الباقي، صحيح مسلم، ط1، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1374هـ).

العمري، سلطان بن عبد الرحمن، ظاهرة نقد الدين، ط2، (الخبر، تكوين للدراسات والأبحاث 1439 هـ)، مجلد ١.

كامل، عبد السلام، الحضارة الإسلامية، القاهرة، بروج للنشر، 2018م.

اللوح، عبد السلام حمدان، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المجلد الثاني، ط2، غزة، آفاق للطبع والنشر والتوزيع، 1423هـ = 2003م.

مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤادعبد الباقي، صحيح مسلم، ط1، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1374هـ.

مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الجزء الثاني، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1985م.

وايت، أندرو ديكسون، ترجمة: إسماعيل مظهر، بين الدين والعلم، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2012م.

النجار، زغلول راغب، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1430هـ = 2009م.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، المجلد الثاني، ط1، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1418هـ = 1997م.

أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، تفسير القرآن العظيم، المجلد1، ط1، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1417هـ=199م.